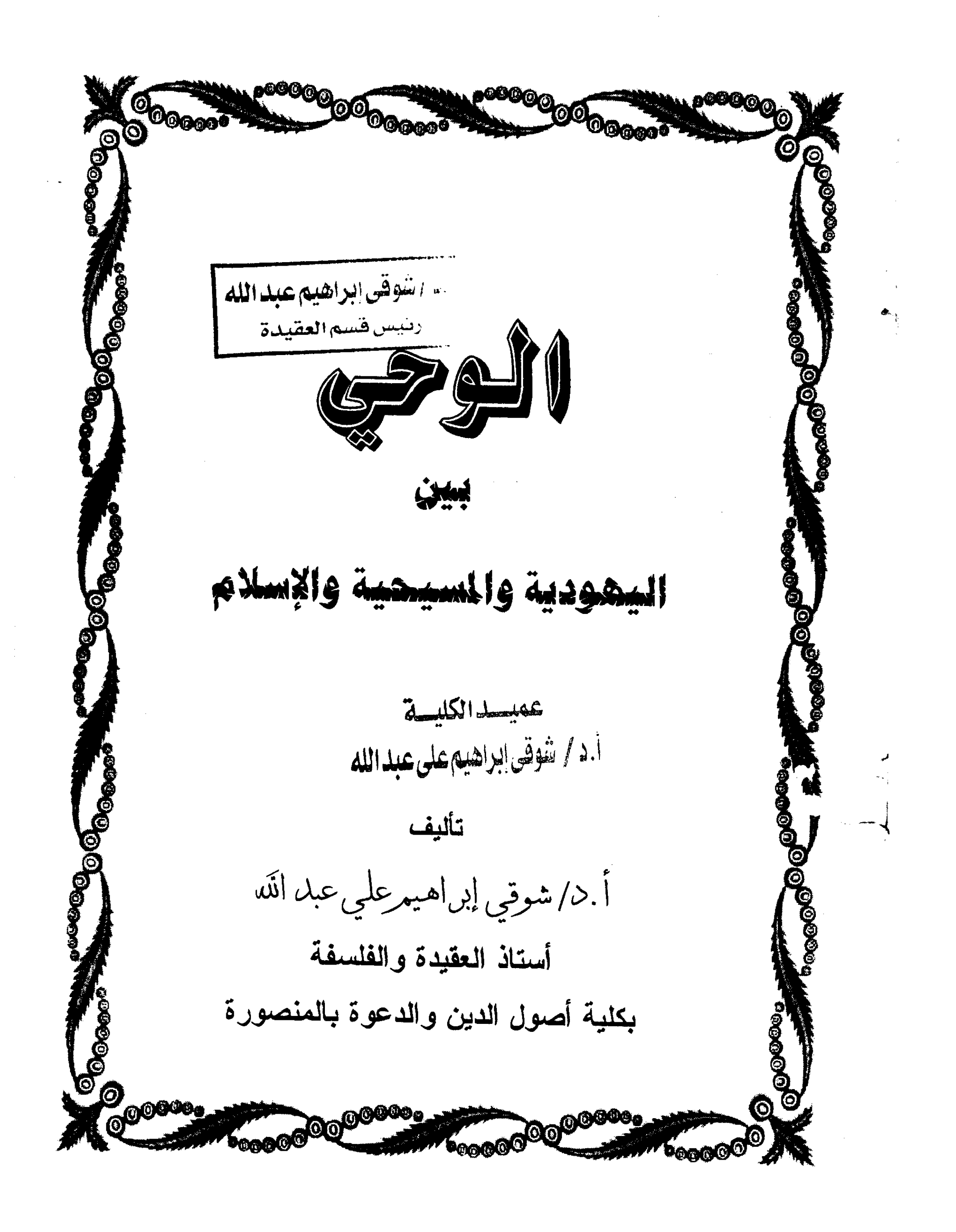


الوحي

بين

اليهودية والمسيحية والإسلام

عميد الكلية
أ.د / شوقى إبراهيم على عبد الله

تأليف

أ.د/ شوقي إبراهيم علي عبد الله
أستاذ العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

تمت وضع

صفحات بيضاء

لحفظ الترقيم

1

بسم الله الرحمن الرحيم

"ومن ءايته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء
اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحى الموتى
إنه على كل شئ قدير"

صدق الله العظيم

سورة فصلت - آية رقم ٣٩







بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن سلك منهجهم إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن العقل مهما كان ناضجًا وحائزًا على أعلى درجة في الكفاءة العلمية ، فإنه لا يستطيع أن يعطينا معرفة سليمة ودقيقة في أمور مجهولة عن عالمه عالم الشهادة ، ولا يستطيع العقل أن يصل إلى حقائق الآخر بنفسه .

يقول الإمام الغزالي : ((إن العقول قاصرة .. والعقلاء بأجمعهم معترفون بأن العقل لا يهتدي إلى ما بعد الموت ولا يرشد إلى وجه ضرر المعاصي ونفع الطاعات لاسيّما على سبيل التفصيل والتحديد كما وردت في الشرائع، بل اقروا أن ذلك لا يدرك إلاَّ بنور النبوة))[(١)].

وإن أكثر من غالى في الاعتماد على العقل وهم المعتزلة لم يجعلوا في العقل كفاية عن النبوة ، بل جعلوا النبوة واجبًا يقتضيه العقل بناء على مذهبهم، في أن الحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل مع خلافنا معهم في أن التحسين والتقبيح باعتبار الشرع لا باعتبار العقل ،

---

(١) أبو حامد الغزالي- الجام العوم (مجموعة القصور العوالي) جـ٢ ص٩٣ ط. ٢ الجندي.

فقالوا (إن البعثة متي حسنت وجبت) [١] ولم يمانعوا أن تكون البعثة مؤكدة لما في العقل ومفصلة لما تقرر جملته فيه .

ووجهوا الوجوب لما هو مستقر في العقول من أن دفع الضرر عن النفس واجب وجلب النفع إليه حسن .

وحقيقة الأمر فإن العقول قاصرة في كل مجالات الحياة والكون وفيما يتعلق بالعالم الآخر ، ولذلك كانت الحاجة ماسة إلى الوحي في الاعتقاد والتشريع ، لأنه هو الذي يعطينا تصورًا سليمًا صحيحًا للعقيدة ويقدم لنا التشريعات التي تقوم بها حياة الإنسان .

من هنا كان الوحي هو الصلة التي تربط الأرض بالسماء وإثبات الوحي هو إثبات لنبوة خاتم رسل الله – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – وإشهار البراهين على صحة الدين الإسلامي .

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتعرّف بالوحي باعتبار أن الإيمان بالوحي من أهم أسس العقيدة الإسلامية ، فكانت المقدمة لبيان أهمية الموضوع ووجه الحاجة إليه ، ثم ذكر الباحث المعاني اللغوية لكلمة الوحي وما جاء في دائرة المعارف البريطانية ، وفي دائرة المعارف الأمريكية عن الوحي وذكر الفرق بين الوحي والإلهام ، وقارن بين الوحي في اليهودية والنصرانية والإسلام من حيث طرقه وصوره وإمكانه ، ثم عقب على ذلك ببيان أن الوحي في اليهودية والمسيحية

---

(١) شرح الأصول الخمسة – القاضي عبد الجبار ص٥٦٤ طبعة وهبة بالقاهرة ، تحقيق عبد الكريم العثمان .

أبعد ما يكون عن الصعيد الديني المتصل بالله وأقرب إلى مدلول الكشف الذي عرفت البشرية ألوانا صافية منه لدى الشعراء الملهمين والمتصوفين العارفين ، وألوانًا عكرة كدرة لدى الكهان والعرافين وأكثرهم من الدجاجلة الكذابين ، فمن السهل إثبات الكشف لكل من يدعيه ثم ننكر عليه مدلول الوحي ولو ظل يدعيه .

وغالبا ما يكون هذا ثمرة من ثمار الكد والجهد أو أثر من آثار الرياضة الروحية أو نتيجة للتفكير الطويل فلا ينشئ في النفس يقينا كاملاً أو شبه كامل ، بل يظلُّ أمرًا شخصيًا ذاتيًا لا يتلقي الحقيقة من مصدر أعلى وأسمى (١) .

ومن هنا تختلف عقيدة الوحي في الإسلام عنها في اليهودية والنصرانية حيث لا مجال عندهما لاتصال روحي بين الملأ الأعلى وبين رسل الله .

ولذلك جاءت تصوراتهم عن الوحي في قالب كلام مباشر من الرب إلى الأنبياء وهم يتصورون الرب في صورة إنسان أو يلهمهم إلهاما عن طريق تأثير قوة فوق الطبيعة ، ولكن التصور الإسلامي عن الوحي مختلف عن تصوراتهم تمام الإختلاف ، ولذلك عرضت لخصائص الوحي في الإسلام وانتهيت فيه إلى أن الوحي في الإسلام له خصائص تميزه عن اليهودية المحرفة والنصرانية المزيفة كما يتميز الوحي في الإسلام عن مصادر المعرفة البشرية .

---

(١) مباحث في علوم القرآن – صبحي الصالح ص٦٢ .

ولما كان كشف الشبهات عن الدين من فروض الكفاية فقد رأيت أن أنهض بعبئ الرد على شبهات المستشرقين في الوحي ، وقد ذكرت أن عقول المستشرقين ومختبراتهم العلمية عجزت أن توصلهم إلى كنه ظاهرة الوحي ، فاختلفوا في هذه الظاهرة على أقوال متباينة مجافية للحق مجانية للصواب ، وكل ذلك سببه تصورهم ظاهرة الوحي في النصرانية وقياس ظاهرة الوحي في الإسلام عليها .

وقد حصرت الشبهات التي أثارها المستشرقون حول ظاهرة الوحي الإلهي التي عدوها واحدة من الظواهر التالية :

- فمنهم من عدها وحيًا نفسيًا وإلهاميًا سمعيًا .
- ومنهم من عدها نتيجة انفعالات عاطفية طاغية على نفس محمد ﷺ نتج عنها هذا القرآن
- ومنهم من زعم أنها تعود لأسباب طبيعية عادية كباعثة التنويم الذاتي .
- ومنهم من زعم أنها كانت نتيجة تجربة ذهنية فكرية تحصل نتيجة طول تأمل وتفكر .
- ومنهم من زعم أنها حالة كالحالة التي تعتري الكهنة والمنجمين .
- ومنهم من زعم أنها حالة من حالات الصرع والهستيريا .

وقد رددت على هذه الافتراءات والتخبطات عند المستشرقين مبيا سذاجتها وتفاهتها ومقررًا الحق في هذا الأمر أن ظاهرة الوحي في تلقَى محمد ﷺ القرآن : ربانية المنشأ ملائكية النقل بشرية التلقي ﴿ إِنْ

هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [١] .

أسأل الله أن أكون قد وفقت فيما أردت وحسبي أنني قصدت الخير وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

أ.د / شوقي إبراهيم على عبد الله

---

(١) سورة النجم الآيتان : ٤، ٥ .

تمهيد :

ليس الوحي إبتكارًا ولا أبداعًا ولا أفكارًا ولا إختراعًا ولا قوة حدس ولا خطرات وجدان ولا ذكاء إنسان ولا عبقرية بشرية ولا أساطير الأولين ولا خرافات أو تخيلات ولا مكاشفة ولا إملاء معين ولا اكتساب سنين ولا نفث ساحر ولا نظم شاعر، بل وحي رب العالمين تلقاه النبي الأمين بأحد طرائق الوحي الثلاثة في حال صحوة واكتمال انتباه واستعداد كامل لاستقبال كلام الباري وتوجيهاته الربانية لمن يختار من خلقه من بين أبناء جنسه حينما يشرفه بالنبوة أو يخصه بالرسالة فيتلقي الوحي وهو بكامل قواه العقلية واستعداداته الفطرية فيتقبل ما يشاء الله من التشريع .

وقد شغلت قضية الوحي حيزًا كبيرًا من أفكار المنظرين والفلاسفة واستغرقت كثيرًا من وقتهم تهربا من الإقرار بالوحي المباشر ، ومع ذلك لم تستطع الفلسفات القديمة ولا الاهتمامات الحديثة ولا التطلعات الحثيثة ولا النظريات المعاصرة أن تخرج برأي مقتع عن عالم الغيب بدون الاعتماد على عنصر الوحي لأن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ (١) .

وعالم الغيب ليس له سوى مصدر واحد هو الوحي فلا تحكمه القوانين الطبيعية التي وضعها الله للحياة المشاهدة على هذه الأرض لنا فباءت كل محاولاتهم بالفشل الذريع صارت كل القياسات باطلة ومضللة وما الوحي عند الفلاسفة إلا فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشري

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٨٥ .

زكي النفس طاهرها يتميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص ، قوة الإدراك وسرعته لينال من العلم أعظم مما ينال غيره ، وقوة النفس ليؤثر في العالم بحيث يستطيع أن يقلب الصورة إلى صورة أخرى وهي ما يفعله الساحر والمشعوذ ، وقوة التخيل ليخيل بها القوي العقلية في أشكال محسوسة وهي الملائمة عندهم [١] .

فهم بهذا ينكرون نوعين من أنواع الوحي وهما: تكليم الله لرسوله مباشرة بدون واسطة ، كما هو الحال لتكليمه موسى عند جبل الطور وتكليمه محمد ﷺ عند سدرة المنتهي ليلة أسري به ، كما ينكرون إرسال الملك بالوحي إلى الرسول ، كما هو الحال بإرسال جبريل بالوحي إلى محمد ﷺ .

* * * *

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية جـ٢ ، ص٦ تحقيق عبد الرحمن عميرة .

الوحي بين اليهودية والمسيحية والإسلام

تمهيد في تعريف الوحي :

الوحي هو الركن الأساسي في النبوات [١] . وهو الصلة التي تربط الأرض بالسماء وعن طريقه يعرف النبي أنه نبي .

ذكر ابن فارس في معجمه أن الواو والحاء والحرف المعتل وحى : أصل يدل على إلقاء علم من أحد لغيره فالوحي : الإشارة ، والوحي : الكتاب، والرسالة والإلهام ، والصوت (وكل ما ألقيته إلى غيرك فعلمه فهو وحي) [٢] ، من باب وحي إليه الكلام يحيبه وحيًا - أوحي وهو يكلمه يخفيه (وحي) و (أوحي) أى كتب وأوحي أشار[٣]، ومنه قول الله : ﴿ **فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾ [٤] .

فالوحي : يطلق إذن على الحركة التي تكون بين الملقي والملقي إليه وهى الإلقاء، كما أن الوحي يطلق - أيضًا - ويراد به اسم المفعول وهو الشئ الموحي به فيسمى وحيًا ويكون معناه كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه قال تعالى : ﴿ **إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [٥] .

---

(١) د. محمد أبو الغيط الفرت - العقيدة الإسلاميمة ، ص١٤٥ .

(٢) معجم مقاييس اللغة مادة (وحي) ، وانظر القاموس المحيط فصل الواو باب الياء .

(٣) مختار الصحاح الواو مع الحاء .

(٤) سورة مريم الآية : ١١ .

(٥) سورة النجم الآية : ٤ .

صور الوحي :

يتمثل الوحي في صور عديدة وقد أشار القرآن إلى نماذج منها ، فمن ذلك : الوحي يأتي ويكون بمعني الأمر كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي** ﴾ (١) . وقد يأتي ويكون معناه الإلهام والتسخير للحيوان كما في قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ** ﴾ (٢) . وقد يراد به الوسوسة الشيطانية كما في قوله سبحانه وتعالي : ﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ** ﴾ (٣) .

حيث يلقي الشيطان في رُوعِ وليه المعاند للحق الباطل وينفث في قلبه ما يضل به ويصد عن الحق ، ولهذا لما قيل لابن عباس ﷺ إن المختار الثقفي يزعم أنه يوحي إليه قال صدق ، فلما نفر السامعون بيّن لهم أنه يوحي إليه لكن من قبل الشيطان لا من الله (٤) .

وقد يأتي ويراد به الإلهام الفطري للإنسان كما في قوله ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ** ﴾ (٥) .

معني الوحي إصطلاحًا :

أصل الوحي في اللغة كلها : إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام

---

(١) سورة المائدة الأية : ١١١ .

(٢) سورة النحل الآية : ٦٨ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٢١ .

(٤) إسماعيل بن كثير القرشي – تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ، ص١٧١ .

(٥) سورة القصص الأية : ٧ .

يسمي وحيًا . قال الأزهري : وكذلك الإشارة والإيماء والكتابة يسمي وحيًا يقول تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ (١) .

معناه إلا أن يوحي إليه وحيًا يعلمه بما يعلم البشر أنه أعلمه ، إما إلهامًا أو رؤية ، وإما أن ينّزل عليه كتابًا كما أنزل على موسى ، أو قرآنًا يتلي عليه كما أنزل على محمد ﷺ . وكل هذا إعلام وإن اختلفت أسباب الأعلام فيها (٢) .

إذن من هذا القول يتبين أن كل المعاني السابقة ترجع إلى أصل واحد ألا وهو الإعلام في خفاء ، فالأصل في الوحي هو الخفاء ولكن نجد أن بعض العلماء يضيف إليه السرعة .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه (٣): ((والقول الجامع في معني الوحي اللغوى : أنه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوحي إليه حيث يخفي على غيره .

ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحي إلى أم موسي ومنه ضده وهو وسوسة الشيطان ﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ...** ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الشورى الآية : ٥١ .
(٢) لسان العرب جـ٥٢ ص٤٧٨٨ .
(٣) الوحي المحمدي .
(٤) سورة الأنعام الآية : ١٢١ .

ووحي الله تعالى إلى أنبيائه قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة ، وهما الخفاء والسرعة فهذا معني المصدر .

ويطلق الوحي على متعلقه وهو ما وقع به الوحي ؛ أى اسم المفعول وهو ما أنزله تعالى على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم ومنهم من أعطاه كتابًا ؛ أى تشريعا يكتب ، ومنهم من لم يعطه)) (١) .

في دائرة المعارف البريطانية :

تقول في معني الوحي : ((يستخدم لفظ الوحي في اللاهوت ليدل على الحالة التي يكون فيها الإنسان تحت التأثير الإلهي المباشر ويعني الوحي تجرد الإنسان ليكون في قبضة الإله بحيث يصير هذا الإنسان هو الطريق أو القناة التي يسري فيها وحي الله من كلام ومشيئة)) (٢).

في دائرة المعارف الأمريكية : تقول في تعريف الوحي :

((الوحي هو توصيل الحق من الله إلى الناس ، ويقال كذلك عن الحق الذي وصل إلى الناس وبخاصة في الكتب المقدسة ، ويتجلى الوحي بإرادة الله وتدبيره في عقل الإنسان وفي صوت الضمير والوجدان لكن أكثر الوحي صراحة لإرادة الله بالنسبة للإنسان ، هو ما كان في الكلمة المكتوبة وفي تسجيل تراسل إلهي خاص ثم في الماضي إلى القديسيين

---

(١) محمد رشيد رضا – الوحي ، ص٣٥ .

(٢) نقلاً عن المهندس أحمد عبد الوهاب – الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام ص٣٥ .

والذين تكلموا بالروح القدس وهذه الكلمة المكتوبة مفتاح كل الوحي الخاص بالطبيعة والمشيئة الإلهية [١] .

من خلال ما رأينا في الدائرتين يتجلي لنا أن الإرسال في موضع الوحي لابد أن يكون من الله وأن الاستقبال يكون من أحد العباد .

وواضح أن الوسائل تختلف وتتعدد ومهما تعددت الأسباب والوسائل فالعبد لابد أن يكون في كل الحالات خاضعا للتأثير الإلهي المباشر (وهكذا يكون كتبه العهدين القديم والجديد من القديسين والربانيين ، كما يتصورون ويدعون) .

أما الوحي بمعناه الشرعي فله إعتبارات ثلاثة :

١ - باعتبار معناه المصدري فيكون الوحي هو التعليم السري الصادر من الله تعالى إلى أنبيائه .

٢ - وباعتبار الحاصل فهو عرفان يجده الشخص من نفسه مع التأكد بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة .

٣ - وباعتبار المُوحِي به فيكون هو كلام الله المنزل .

وبناء على ما سبق يكون الوحي إعلامًا في خفاء يطلق ويراد به المُوحِي وقد عرفوه شرعًا أنه إعلام الله لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه .

وقد عرفه محمد عبده بأنه : ((عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة)) [٢] .

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٥ .

(٢) رسالة التوحيد - محمد عبده ، ص٨٨ .

واليقين الذي يقصده الإمام في هذا التعريف هو يقين النبي أن ما وصل إليه من معرفة أنها من قبل الله تعالى سواء أكان بواسطة ملك أم بوحي دون واسطة وشرط اليقين هنا ((أن ذلك من قبل الله)) يخرج الإلهام ، لأن الإلهام كونه من قبل الله مظنون .

الفرق بين الوحي والإلهام :

الفرق بين الوحي والإلهام الذي هو لغير الأنبياء أن الوحي مصحوب باليقين لأن مصدره هو الله تعالى ، أما الإلهام فهو حالة وجدانية تحدث في النفس من غير شعور بمصدره كالهم والحزن والسرور والجوع والعطش ، فمصدره غير معروف .

يقول محمد عبده : ((ويفرق بينه – أى الوحي – وبين الإلهام بأن الإلهام وجدان تستقيه النفس وتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتي)) (١) .

فالإلهام إذن غير الوحي وإذا كان مصدر الوحي معروفا ومتيقنا فإن مصدر الإلهام مجهول غير معلوم .

يقول أبو حامد الغزالي : ((فالوحي حلية الأنبياء والإلهام زينة الأولياء ، فأما علم الوحي فكما أن النفس دون العقل فالولي دون النبي فكذلك الإلهام دون الوحي فهو ضعيف بنسبته للوحي)) (٢) .

إذن فما دام الوحي يخالف الإلهام ، فما هو معلوم أن ما كان من قبل

---

(١) المرجع السابق ص ٨٩ .

(٢) الغزالي ، القصور العوالي من الرسالة اللدنية ، جـ ١، ص١١٦ .

الله للنبي يطلق عليه وحي لا إلهام ، أما الإلهام فقد يكون لغير الأنبياء من البشر لهذا لما ذكر الله تعالى طرق الوحي ، لم يطلق على واحدة منها إلهامًا فقال : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ** ﴾ (١) .

فذكر هنا وحيًا وذكر الفعل يوحي بإذنه ما يشاء ، وما دام لا يعلم مصدره ، فهل يصح أن يكون مصدرًا لكتاب سماوي منظم لشؤون أمة من الأمم ، يدعي الذين كتبوا الكتب المقدسة في اليهودية والنصرانية أنهم كتبوها بإلهام الروح القدس ويقررون أن الإلهام لم يكن في اللفظ والمعنى بل كان في المعنى فقط ، ولهذا اختلفت تعبيرات الأناجيل ونصوصها .

* * * *

---

(١) سورة الشوري الأية ٥١ .

طرق الوحي في اليهودية

في العهد القديم :

باستقرار أسفار العهد القديم نلاحظ أن طرق الوحي متعددة منها : كلام الله إلى الأنبياء .

والمتأمل في هذا الطريق يجد أن الأسفار تشير إلى أن كلام الله يكون بصوت مسموع، والله في تصور الأسفار يرى ويحس حين إلقائه كلامه لأنبيائه ويظهر ويراه المتحدثون . يقول كاتب سفر التكوين : ((وسمعَا صوت الرب ماشيًا في الجنة عند هبوب ريح النهار فأختبأ آدم وامرآته من وجه الرب الإله . في وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت ؟ فقال أسمعت صوتك في الجنة فخشيت ، لأني عريان فأختبأت . فقال : من أعلمك أنك عريان [١] .

ونقرأ أيضا في سفر التكوين : ((وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة ليعلمها ويحفظها ، وأوصي الرب الإله آدم قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل أكلا وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت)) [٢] .

وجاء في سفر الخروج : ((دعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع)) [٣] .

---

(١) سفر التكوين ٣ : ١١ .
(٢) تكوين ٢ : ١٧١ .
(٣) الخروج : ٣٣ – ٩ .

فهذا نموذج من أسفار التكوين والخروج ، نلمح في هذه النصوص تعليمات ووصايا صدرت من الرب لآدم أول الخلق ولنبي الله موسى ما يفهم منه طريقا من طرق الوحي .

يقول برسوم ميخائيل : ((كان الوحي يصل إلى الموحي إليهم عن طريق كلام من شخص منظور في صورة إنسان أو صورة ملاك ، وقد يكون الشخص هو الرب ذاته)) (١) .

واضح أن الكاتب يقرر هنا أن الشخص المنظور الذي يلقي الوحي إلى الأنبياء قد يكون هو الرب ذاته وهو في ذلك يتفق مع نصوص الكتاب المقدس حيث نجد في سفر التكوين هذا المعنى ، فقد ورد فيه (وظهر له عند : بلوطات ممر وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه) (٢) .

يقول برسوم ميخائيل في تفسيره : ((وإذا ثلاثة رجال وكان اثنان منهم ملاكين في رفقة الرب)) .

وفي العهد القديم أمثلة كثيرة على الطريق من طرق الوحى وكثيرا ما يكون الخطاب لموسي عليه السلام مثل : ((وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم)) (٣) . ((وكلم الرب موسى في برية سيناء)) (٤) .

وتكرر هذا الخطاب لموسى في أسفار الخروج والعدد واللاويين

---

(١) برسوم ميخائيل مجموعة حقائق كتابية ، ص٧ .

(٢) تكوين ١٨ – ١- ٣ .

(٣) تثنية ٣٢- ٤٨- ٤٩ .

(٤) العدد ١ : ١-٢ .

والتثنية : ((ولم يقم في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهًا لوجه)) (١) .

الطريق الثاني : الأحلام والرؤى

يقول برسوم ميخائيل خادم الإنجيل : ((وكان أحيانا يوصل إعلاناته هن طريق الأحلام كما حصل مع يوسف أو عن طريق مخاطبته تعالى للشخص في نومه كما حصل مع إبرام (٢) .

ويشير سفر التكوين إلى ما حدث ليوسف فيقول : ((وحلم يوسف حلمًا وأخبر اخوته فازدادوا أيضًا بغضًا له فقال لهم: اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت فها نحن حازمون حزما في الحقل وإذا حزمتي قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي)) .

ثم حلم أيضًا حلمًا آخر وقصه على أخوته فقال : ((إني قد حلمت حلمًا أيضًا وإذا الشمس والقمر أحد عشر كوكبًا ساجدة لي ، وقصه على أبيه وإخوته فانتهره أبوه وقال له ، ما هذا الحلم الذي حلمت به ؟ هل نأتي أنا وأمك وأخوتك لنسجد لك إلي الأرض فحسده إخوته وأما أبوه فحفظ الأمر)) (٣) .

ويشير سفر التكوين إلى ما حدث لإبرام كذلك ، فيقول : ((ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على إبرام سبات ، وإذا رعية مظلمة عظيمة واقفة عليه فقال لإبرام : اعلم يقينًا أن نسلك سيكون غريبًا في

---

(١) تثنية ٣٣-١-١١ .

(٢) برسوم ميخائيل مجموعة حقائق كتابية ، ص٧ .

(٣) تكوين ٢٧ : ٥-١٠ .

أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربع مائة سنة ثم الآفة التي يستعبدون لها أنا أدينها ، وبعد ذلك يخرجون بأملاك عظيمة وأما أنت فتمضي إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة .

وفي الجيل الرابع يرجعون إلى هنا لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن تلك القطع في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقًا [١] .

ونلاحظ أننا إذا استقرأنا أسفار العهد القديم نجد أن الرؤيا كانت طريقا من طرق الوحي لأغلب الأنبياء، مثل يوسف وإبرام (إبراهيم) وناثان وسليمان .. إلخ .

الطريق الثالث : عن طريق الملائكة

أشار برسوم ميخائيل لهذا الطريق فقال : "كان الوحي يصل إلى الموحي إليهم عن طريق كلام من شخص متطهر في صورة إنسان أو صورة ملاك وظهور الملائكة في صور بشرية تخاطب البشر بلقائهم وتبلغهم وحي الله ، كانت أكثر وسائل الوحي شيوعًا وانتشار لديهم .

وقد أشار إلى ذلك سفر التكوين : فجاء الملاكان إلى سدوم مساء وكان لوط جالسا في باب سدوم وقال الرجلان للوط : من لك أيضا ههنا أصهارك وبناتك وكل من لك في المدينة أخرجه من هذا المكان ، لأننا مهلكان هذا المكان ، إذ قد عظم صراخهم أمام الرب فأرسلنا الرب لنهلكه [٢] .

---

(١) سفر التكوين ١٥- ٥- ١٨ .

(٢) التكوين ١٩- ١- ١٢ .

وتكرر هذا مع إبراهيم ويعقوب ودانيال وغيرهم من الأنبياء .

وهناك طرق أخرى منها :

أن يسمع الموحي إليه صوتا ينادية فلا يعرف مصدره إلا عن طريق واحد ممن يقرأون الكتاب ولهم دراية بطرق الوحي .

حدث ذلك مع صموئيل الذي كان حبيبا يخدم بيت الرب مع الكاهن عالي . ((وكان الصبي صموئيل يخدم بيت الرب أمام عالي)) (١) .

وصموئيل مضطجع في هيكل الرب الذي فيه تابوت الله أن الرب دعا صموئيل فقال ، هآنذا وركض إلى عالى ، وقال هآنذا لأنك دعوتني ، فقال لم أدع أرجع اضطجع ، فذهب واضطجع ثم عاد الرب ودعا أيضا صموئيل فقام صموئيل وذهب إلى عالي وقال : هآنذا لأنك دعوتني فقال لم أدع يا بني ، أرجع ، اضطجع ولم يعرف صموئيل الرب بعد ولا أعلن له كلام الرب بعد وعاد الرب فدعا صموئيل ثالثة فقام وذهب إلى عالي وقال : هآنذا لأنك دعوتني ، ففهم عالى أن الرب يدعو الصبي ، فقال عالي لصموئيل اذهب اضطجع ويكون إذا دعاك تقول : تكلم يارب لأن عبدك سامع (٢) .

يتضح لنا من هذا النص أن صموئيل لم يعرف مصدر النداء ولا الكاهن عالي عرف المصدر إلا بعد أن تكرر ثلاث مرات، حينئذ لاحظ الكاهن أن الرب هو الذي ينادي فاخبر صموئيل بذلك .

---

(١) صموئيل الأول : ٣-١ .

(٢) صموئيل الأول ٢ : ٣- ١٠ .

كما يظهر من النص أن الوحي لديهم ليس له سن معينة ، فالرب قد نادي صموئيل وأوحي إليه وأعلمه أنه سيفني بين الكاهن عالي، في حين أنه كما عرضنا لولا عالي لما عرف صموئيل أن ذلك وحي .

((قال الرب لصوئيل ، هو ذا أنا فاعل أمرًا في إسرائيل ، كل من سمع به تطن أذناه في ذلك اليوم أقيم على عالي كل ما تكلمت به على بيته أبتدى وأكمل ، وقد أخبرته يأتي أقضي على بيته إلى الأبد من أجل الشر)) (١) .

الرب أوحي إلى صموئيل وهو صبي لم يبلغ مبلغ الرجال ، ففهم عالي أن الرب يدعو الصبي ، وقد يشاهد العبد في السماء نارا أو نورا ثم يسمع منها ملاك الرب .

وأما موسى فكان يرعي غنم يبشرون حميه كاهن مريان .. فظهر له ملاك الرب يلهب نار من وسط عليقة فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق ، فقال موسي أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لم تحترق العليقة . فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال : موسي موسى ، فقال هآنذا فقال لا تقترب إلى هاهنا .. ثم قال : أما إله أبيك إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر (٢) .

وقد تشاهد بعض الأمور المزعجة كزلزلة وشدة ريح وعواصف وزوابع، وتظهر نار يليها بعض الأصوات الخفية ويليها صوت الوحي

---

(١) صموئيل الأول ٣- ١١- ١٤ .

(٢) الخروج ٣ : ١- ٦ .

وهذه الظاهرة حدثت لإيلياء وحزقيال .

(وإذا الرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور أمام الرب ، ولم يكن الرب في الزلزلة وبعد الزلزلة نار ولم يكن الرب في النار وبعد النار صوت منخفض خفيف .. وإذا بصوت إليه يقول : مالك هاهنا يا إليا .. ، فقال له الرب : اذهب راجعا في طريقك إلي دمشق) [١] .

ومثال ذلك قد وقع لحزقيال :

((صار كلام الرب إلى حزقيال الكاهن ابن يوزي في أرض الكلدانيين عند نهر خابور ، وكانت عليه يد الرب ، فنظر وإذا بريح عاصفة جاءت من الشمال سحابة عظيمة ، ونار متواصلة وحولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار ومن وسطها شبه أربعة حيوانات وهذا منظرها لها وجه إنسان ولكل واحد أربعة أوجه لكل واحدة أربعة أجنحة .. هذا منظر شبه مجد الرب ، ولما رأيته خررت على وجهي وسمعت صوت متكلم)) [٢] .

وقد تستحوذ على العبد قوة إلهية وتجبره على النطق بالوحي المقصود وسواء أكان ذلك بطريقة إرادية واعية ، أو بطريقة غير إرادية [٣] .

أما الطريق الأول الإرادي فقد يمثل له بما أمر الله به إلى أرميا ويونس وكل أنبياء الله القديسين فقد جاء هذا النوع أربع إصحاحات من

---

(١) الملوك الأول : ١٩- ٩- ١١ .

(٢) حزقيال ١- ١- ٢٨ .

(٣) مجموعة حقائق كتابية ، ص٩ برسوم ميخائيل .

الأول حتي الرابع في سفر أرميا ، وكان أرميا هو المقصود بها .

وكما جاء في الاصحاحين الحادي عشر والثاني عشر من سفر أشعياء وكان أشعياء هو المقصود .

أما الطريق الثاني غير الإرادي، فيشير إليه برسوم ميخائيل قائلا: أو بطريقة غير إرادية كما في حالة بلعام وشاول وقيافيا وغيرهم من الأدعياء [١] .

وورد ذكر بلعام في سفر التثنية (ورفع بلعام عينيه ورأي إسرائيل حالا حسب أسباطه فكان عليه روح الله فنطق بمثله ، وقال وحي بلعام بن بعور وحي الرجل المفتوح العينين) .

وأما شاول فجاء ذكره في سفر صموئيل في أماكن متفرقة " وكان الروح الردي من قبل الرب شارول وهو جالس في بيته ورمحه بيده [٢].

فكان عليه أيضا روح الله فكان يذهب ويتنبأ حتي إلى نايوث في الرامة ، فخلع هو أيضا ثيابه وتنبأ هو أيضا أمام صموئيل وانطرح عريانا ذلك النهار كله وكل الليل لذلك يقولون : " أشاول أيضا بين الأنبياء " [٣] .

وإذا كان برسوم ميخائيل أطلق على هذا النوع أنه استيلاء القوة الإلهية على الإنسان ، فواضح أن لفظ روح الله هو الذي يتكرر في أمثلة هذا النوع ولهذا فهو وحي عن طريق الملك .

---

(١) برسوم ميخائيل مجموعة حقائق كتابية ، ص٨ .

(٢) صموئيل الأول ١٩- ٩ .

(٣) صموئيل ١٩- ٢٤ .

والأستاذ أحمد عبد الوهاب في كتابه [الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام] نقل نصًا من المصادر الأجنبية في هذا الطريق يقول فيه : ((ولقد عرفنا أن من الملائكة أرواحا متميزة إذا ما حلت بالعبد الصالح أنطقته بوحي الله وصار هو لسانها المتكلم بصوت تسمعه الآذان البشرية وتعي ما يقول ولذلك قال موسي ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل روحه عليهم)) [١] .

وكان كلام صموئيل النبي إلى شاول وهو يعلمه إحدى طرق الوحي: عند مجيئك إلى هناك إلى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وهم يتنبأون فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر [٢] .

ويذكر حزقيال طريقة بدء الوحي فيقول : سمعت المتكلم معي وقال لى يابن آدم مرسلك إلى إسرائيل إلى أمة متمردة [٣] .

* * * *

---

(١) نقلا عن أحمد عبد الوهاب ص٣٧ .

(٢) صموئيل الأول ١- ٥- ١٠ .

(٣) حزقيال : ٢- ٢ ، ٣ .

الوحي في النصرانية

بعد استقراء طرق الوحي في العهد القديم لدى اليهودية ، وعرفنا تعدد هذه الطرق وتباينها، نعرض بعد ذلك لطرق الوحي في النصرانية والمعروف أن النصرانية ترى أن كتابها المقدس هو العهد الجديد ، وباستقرار العهد الجديد نجده يعترف بالطرق التي ورد ذكرها في العهد القديم ويضيف طرقا أخرى ، فقد ورد في الإصحاح الأول من الرسالة إلى العبرانيين هذه العبارة ((الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذى جعله وارثاً لكل شئ)) .

وفي العهد الجديد نجد تفاصيل لحالات الوحي ، ومنها :

أولاً : حلول روح الله

ورد في سفر أعمال الرسل في الأصحاح الثاني هذا النص: ((وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى، كما أعطاهم الروح أن ينطقوا)) (١) .

تلاميذ المسيح حلت فيهم الروح فأصابتهم حالة الوحي حتي صاروا يتكلمون بألسنة أخرى .

ولقد سخر اليهود من هذه الألسنة التي تقول ما لا يعقل – في ظنهم – وظنوهم سكارى ومخبولين :

---

(١) أعمال الرسل ٢ : ٤– ٥ .

((وكان اليهود رجالاً أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور وتحيروا لأن كل واحد منهم كان يسمعهم يتكلم بلقبه)) .

فماذا كانت نتيجة هذا التردد :

(فتحير الجميع وارتابوا قائلين بعضهم لبعض : ما عسى أن يكون هذا وكان آخرون يستهترون قائلين إنهم قد امتلأوا سلافة) .

يقول بطرس مدافعا عن التلاميذ ومقررا: أن حلول روح الله على الجموع من الناس إنما كان تحقيقا لنبوءة وردت في أسفار العهد القديم عم سيكون في آخر الزمان، وآخر الزمان هنا قد مر منذ عشرين قرناً، حيث عاش بطرس ومن معه من التلاميذ .

((فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم : أيها الرجال اليهود ليكن هذا معلوما عندكم ، واصغوا إلى كلامي ، لأن هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون لأنها الساعة التالية من النهار ، بل هذا ما قيل ليوئيل النبي ، يقول الله : ويكون فى الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنبؤكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلامًا وعلى عبيدى أيضًا وإمائي أسكب من روحي في تلك الأيام فيتنبأن [١] .

الطريق الثاني من طرق الوحي : كون الملاك واسطة بين النبي وربه :

---

(١) أعمال الرسل ٢- ٤- ٨ .

ورد في إنجيل لوقا قوله : فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين نزع النجور ، فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف ، فقال له الملاك : " لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت، وامرأتك اليصابات ستلد لك أبنا وتسميه يوحنا .. فقال زكريا للملاك : كيف أعلم هذا لأني شيخ كبير وامرأتي متقدمة في أيامها ، فأجاب الملاك وقال له : أنا جبرائيل الواقف قدام الرب وأرسلنا لأكلمك وأبشرك بهذا [١] .

وجاء لوقا : أيضا وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة الخليل أسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت زرد اسمه يوسف والعذراء اسمها مريم فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها ... [٢] .

الطرق الثالث من طرق الوحي : الرؤيا

ومن نماذج هذا الطريق الذي أشار إليه العهد الجديد ما حدث ليوسف النجار الذي أحاط به الشك من كل جانب في مريم عليها السلام ، ولكن عن طريق رؤيا منامية عرف خلالها السر في حملها وكان ثمرة ذلك دفع الوساوس التي كانت تنتابه في أمرها ثم امتنع عن معاشرتها حتي ولدت المسيح أبنها البكر : ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا : (يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل فيها هو من الروح القدس) [٣] .

---

(١) لوقا ١- ١٢- ٢٠ .
(٢) انجيل لوقا ١- ٢٦- ٢٩ .
(٣) متى ١- ٢٠- ٢١ .

وتكرر هذا الطريق ليوسف النجار .

فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلا : (قم ، وخذ الصبي وأمه وأذهب أرض إسرائيل) (١) .

وقد تعرض لهذا الطريق من الوحي المجوس الذين أرسلهم هيرودس ليتيقنوا من ظهوره ثم يذهب ليسجد له ، وكانت حيلة منه لقتل الصبي فتوجه المجوس بحلم إلى طريق أخرى :

((حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا وتحقق منه زمان النجم الذي ظهر ثم أرسلهم إلى بيت لحم ، وقال : اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي ، ومتي وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا واسجد له ... وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه فخروا وسجدوا له ثم فتحو كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبا ولبانا ومرا ثم إذ أوحي إليهم في حلم ألا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا في طريق أخرى إلى كورتهم)) (٢) .

نخلص من ذلك إلى أن حالات الوحي في النصرانية تتشابه إلى حد كبير في اليهودية ، ونستطيع أن نجمل حالات الوحي في الكتاب المقدس فيما يأتي :

١- الوحي بالكلام المباشر بين الله والإنسان وقد ذكرنا أن الكلام قد يكون بصوت مسموع وقد يظهر الله في صورة شخص يراه العبد .

---

(١) متى ٢ : ١٩- ٢١ .
(٢) متي ٢ : ١٣٧ .

٢- ظهور الملائكة في صورها الحقيقة أو في صور بشرية تعلم الناس بلغاتهم وحي الله كما حدث لنبي الله إبراهيم ودانيال ولوط ، كما ذكر العهد القديم ، وكما حدث لزكريا ومريم كما يخبرنا العهد الجديد .

٣- الوحي بالأحلام والرؤيا المنامية ، كما حدث ليوسف عليه السلام وورد ذلك في العهد القديم .

ومثل ذلك الذي كان ليوسف النجار خطيب مريم – عليها السلام – وقد ورد ذلك في العهد الجديد .

هذه أهم طرق الوحي في الكتاب المقدس القديم والجديد ، ويضاف إلى ذلك طرقًا أخرى سبق أن أشرنا إليها مثل حلول روح الله على العبد فتتغير حالته بطبيعته فيتكلم الوحي، وقد تنفعل نفس العبد الصالح بما يفيض على لسانه كلامًا يشتهر بين الناس بأنه وحي الله . جاء في يوحنا : ولست أفعل شيئًا من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي [(١)]، أنا أتكلم بما رأيت عند أبي [(٢)]، أنا علمتكم بكل ما سمعته من أبي [(٣)] .

وأنا ما سمعته منه فأنا أقوله للعالم [(٤)] .

ثم جاء في رسالة برلس الثانية إلى تيموثاوس : " كل الكلام هو موحي به من الله " [(٥)] .

---

(١) يوحنا ٨ : ٢٨ .

(٢) يوحنا ٨ : ٣٨ .

(٣) يوحنا ١٥ – ١٥ .

(٤) يوحنا ٨ – ٢٦ .

(٥) تيموثاوس الثانية ٣ : ١٦ .

في هذه النصوص وغيرها قول صريح استنطقوا به المسيح بأن الكتاب الذي أنزل عليه هو الإنجيل وأنه من عند الله وأن الله أرسله وأنه أخذه عن طريق السماع والتعليم ، وأنه ليس من عند نفسه ، بل هو من الأب الذي أرسله وما أظهر وأجلى وأوضح ما قاله بولس : " كل الكتاب هو موحي به من الله " .

فالإنجيل عطاء من الله لنبيه عيسى عليه السلام ليعطيه بالتالي إلى قومه وأتباعه وهذا هو قوله في صلاته الكلام الذي اعطيتني قد أعطيتهم [١].

أما طريقة إنزال الإنجيل على سيدنا عيسى عليه السلام فبعض النصارى يذهبون إلى أنه أنزل إليه دفعة واحدة ، وأنه ألقى إليه شفاهًا ، وهذا على رأي من يتمشى مع هذه النصوص في كونه قد أخذه من الأب[٢].

ويذهب علماء الإسلام إلى أنه أنزل عليه من الله دفعة واحدة أيضًا وليس منجمًا ، كما نزل القرآن الكريم [٣] مخالفين رأى النصارى الذين يرون أن الإنجيل من عند عيسى ، كما ذهب إلى ذلك إبراهيم لوقا حيث قرر (أن إنجيل المسيح الحقيقي – لم يوح إليه من السماء كما يعتقد المسلمون ، وإنما هو رسالة أعدها المسيح من عند نفسه وأبدعها بفكره وبالطبع لأنه الرب في نظره [٤] .

هذا ويتفق النصارى والمسلمون على أن المسيح عليه السلام بلغ الإنجيل

---

(١) يوحنا ١٧ – ٧ .

(٢) الإنجيل د. محمد أبو الغيط الفرت ص٢٠ .

(٣) انظر تفسير الألوسي للآية ٣ من سورة آل عمران .

(٤) انظر رأي إبراهيم لوقا في كتابه المسيحية في الإسلام ص٤٢ – ٤٣ .

شفاها وأنه لم يكتبه كما لم يكتبه أحد من تلاميذه وحوارييه حال وجوده بينهم وظل مأثورًا في الصدور إلى إن كتب الإنجيليون كتاباتهم ، وهذا هو ما أثبته التاريخ العام والخاص [١] .

* * * *

(١) د. محمد أبو الغيط الفرت – الإنجيل ص٢٠ .

طرق الوحي في الإسلام

الوحي الذي تشرق به المعرفة على قلوب الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – أنواع ومراتب .

يقول الله في كتابه : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾(١).

وهذه الآية فيها حصر لأساليب الوحي وطرقه – ليس في الإسلام وحده – وإنما في كل دين ، وبعبارة أخرى ليس بالنسبة لمحمد ﷺ وحده ولكن لكل عبد أوحي إليه من قبل الله تعالى فصار نبيًا أو رسولاً .

يقول محمد فريد في تفسير هذه الآية : " وما كان لإنسان أن يكلمه الله كما يكلم بعضكم بعضًا بكلام مسموع من طريق التموجات الهوائية ، بل يكلمه وحيًا أي من طريق الوحي، بأن يخلق في قلبه ما يشاء إلقاءه إليه أو أن يكلمه من وراء حجاب بشرية على حالة أخرى يعلمها هو أو يرسل ملكًا يبلغه مراده إنه عليٌّ عن صفات المخلوقين حكيم يفعل عن مقتضى الحكمة " (٢) .

وواضح أن صور هذا الكلام يفرق بين كلام الله لأنبيائه وبين كلام البشر ، حيث يتصف الأخير بالصوت والتموجات الهوائية والترنيمات البشرية لكن كلام الله يخلو من كل هذا فهو كلام يليق بذاته

---

(١) انظر رأي إبراهيم لوقا في كتابه المسيحية في الإسلام ص٤٢ – ٤٣ ، والآية ٥١ من سورة الشورى .

(٢) المصحف المفسر ، محمد فريد وجدي ص٦٤٦ .

المقدسة وهذا يخالف ما لاحظنا سالفًا في العهدين القديم والجديد من أن كلام الله لأنبياءه كل بصوت مسموع ، وربما كان الله مرئيًا وبارزًا لهم يرونه وينظرون إليه كواحد منهم تعالى الله عن ذلك .

وإذا كانت الآية المذكورة قد أجملت طرق الوحي من الحق إلى عباده أيا كانوا وفي أي زمن وجدوا ، فإننا نرى القرآن الكريم يتنبأ بالكثير من أخبار الوحي ووسائله مع الأنبياء السابقين .

أولاً : قد يكون ذلك بالرؤيا المنامية يراها النبي ويوقن أنها وحي من الله تعالى .

الوحي يبدأ بالرؤيا الصادقة – فإن رؤيا الأنبياء حق وصدق وليست من قبيل ما يحدث لسائر البشر من أضغاث أحلام نتيجة لرغبات مكبوتة – إذ الأنبياء بما وصلوا إليه من الكمال البشري تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم ، وقد حدث لنبينا – عليه الصلاة السلام – في بداية الوحي – الرؤيا الصادقة – فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، روى عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح [١] .

ومنه رؤيا رسول الله ﷺ وأصحابه داخلون المسجد الحرام وسجل القرآن الكريم هذه الحقيقة، فقال تعالى: ﴿ **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ**

(١) رواه البخاري في باب كيف بدأ الوحي .

وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ .. ﴾ (١) .

ومنه أيضا رؤيا سيدنا إبراهيم في المنام أن يذبح ابنه إسماعيل واعتبار سيدنا إسماعيل أن رؤيا أباه حق بمثابة الأمر الإلهي واجب تنفيذه ، ولما شرع في التنفيذ أكرمه الله تعالى ففداه بذبح عظيم قال تعالى: **﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ . وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾** (٢) .

ثانياً : أن الوحي قد يكون عن طريق الإلهام

وهو أن يلقي في رُوعِ النبي وقلبه ما أراده الله من المعارف مع اعتقاد النبي بأن هذا من قبل الله تعالى، وفي السنة النبوية أمثلة كثيرة لهذا الضرب من الإلهام سواء صرح فيه بخبر هذه الوساطة كما قال عليه الصلاة والسلام : " إن روح القدس نفث في رُوعِي، أحبب من أحببت فإنك مفارق وعش ما شئت فإنك ميت وأعمل ما شئت فإنك مجزى به " (٣) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : ((هذا رسول رب العالمين جبريل نفث في روعي أنه لاتموت نفس حتي تستكمل رزقها وإن أبطأ عنها

---

(١) سورة الفتح الآية : ٢٧ .

(٢) الآيات من ١٠١ – ١٧ من سورة الصافات .

(٣) رواه البطراني في الأوسط والأصغر .

فإتقوا الله وأجملوا في الطلب)) [١] . أو طوي ذكر الملك وأرسل الحديث إرسالاً كما في سنن أخرى .

ثالثاً : كلام الله تعالى لنبي من أنبيائه

وهذا النوع من الوحي إما أن يكون بواسطة أو بغير واسطة، فإن كان بغير واسطة بأن يكون كلام الله لنبيه مباشرة كما حدث مع سيدنا ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج ، وكما تم لموسي عليه السلام فوق طور سيناء قال تعالى ﴿ **إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى** ﴾ [٢].

بيد أن نقول إن كلام الله بغير صوت ولا حرف على النحو الذي نألفه بين المتخاطبين من تكاشف ومشافهة ، فإننا لا نستطيع أن ندرك كنهه ولا الوقوف على مداه ، لأننا هنا أمام متعلقات القدرة الإلهية التي لا تحدها حدود فالذي أصعد محمدًا ﷺ من الأرض إلى السماء بما يعجز العقل عن إدراكه قادر على أن يسمعه سماعًا خاصًا ، لأن قدرة الله لا متناهية .

الثاني : وهو أن يكلم النبي بواسطة الملك وذلك له أحوال ، فتارة يرى النبي الملك على صورته الأصلية وحقيقته التي خلقه الله عليها ويتعلم منه مباشرة ما جاء عن الله تعالى ، وذلك كما حدث للنبي ﷺ وهو في غار حراء في أول لقاء جبريل به عندما أخبره بأنه نبي ، وقال له : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ [٣] .

---

(١) رواه البخارى في صحيحه .

(٢) سورة طه الآية : ١٢ .

(٣) سورة العلق الآية الأولى .

وتارة يراه متمثلا بصورة رجل كما كان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي ، أو في صورة رجل أعرابي كما في حديث الإيمان والإسلام ، وقد يكون بظهور الملائكة في صور بشرية تلقي وحي الله إلى الأنبياء .

وقد تعرض إبراهيم عليه السلام لذلك حينما جاءته الملائكة تبشره بولده إسحاق وكانت زوجه عاقرا قال تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ . فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ . فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ . فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ** ﴾(١) .

وحدث ذلك مع لوط عليه السلام حين جاءوه منذرين بإهلاك قومه يقول تعالى : ﴿ **كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ. إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ** ﴾ (٢) .

وتارة لا يرى الملك لا في صورته الأصلية ولا في صورة آخر، وإنما يسمعه منه ويعيه قلبه كما يسمع وقع أقدام أو دويا عند وجهه كدوي النحل ، وقد كان الصحابة الذين حول الرسول يدركون الرسول في هذه الحالة فيعلمون أنه يوحي إليه ، وبهذا النوع كان ينزل القرآن على النبي ﷺ قال تعالى : ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الذريات الآيات : ٢٤ – ٢٨ .

(٢) سورة القمر الآيتان : ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) سورة الشعراء آيات : ١٩٣ – ١٩٥ .

وقد تنادي الملائكة أحد أنبياء الله تعالى وسمع النبي نداءهم ، وذلك مثل ما كان من أمر زكريا ومريم عليهما السلام وذلك في سورة آل عمران : ﴿ **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ . فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [الآيتان : ٣٨ ، ٣٩].

وقوله تعالي : ﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾ (١).

* * * *

(١) سورة آل عمران الآية : ٤٥ .

إمكان الوحي

إن التصديق بمبدأ الوحي ليس مما يتعاظم على العقول إدراكه فما دمنا قد اعترفنا بأن الله موجود وأن وجوده حق لا ريب فيه وأنه جل شأنه يصطفي من عباده من يبلغ مراده ومن يتعهد الأمم الضالة ويخرجها من الظلمات إلى النور، بإذنه فأن العقلاء يجمعون على إمكان الوحي – وأنه قد حدث فعلا .

أما عن إمكانه : فإن البديهية تشهد بأن درجات العقول متفاوتة يعلو بعضها فوق بعض فما يدركه الأعلى يقصر عنه الأدني والنفوس ليست على درجة واحدة من الصفاء والنقاء بل بعضها أنقي من بعض وليس ذلك لتفاوت العقول في أصل التعليم والتهذيب فحسب ، بل في أصل الفطرة التي جبل عليها الإنسان ، فإن من النظريات ما يكون عند بعض الناس غامضة في حين أنها بديهية عند غيرهم، فإذا كان هذا الصنف من الناس موجودا في كل عصر وأن العقول هبة من الله تعالى تتفاوت في الإدراك ولا مدخل للإنسان فيه بكسبه واختياره إلا بما يكتسبه من معارف بقدر قوته العقلية فلا مانع عقلا ، بل أنه من الممكن عقلا أن تكون هناك نفوس بشرية خصها الله بكمالات تهيئها لعلم حقائق الأشياء وإدراكها ويكون لها من الصفاء والنقاء ما يمكنها من الاتصال بالملأ الأعلى ويكون لديها من القوة ما يمكنها من أن ترى الملك في صورته الحقيقية أو تسمع صوته وتفهم ما يوحي به وتشهد من أمر الله ما يعجز عنه من هو دونها في القوة والتعقل

والبرهان ، ثم تبلغ ما تلقته إلى الناس وهذا هو الركن الأول في إمكان الوحي .

أما الركن الثاني : وهو وجود الملك الذي يقوم بتبليغ من صفت نفسه واصطفاه الله للقيام بأعباء النبوة .. ووجود الملك ليس أمرا مستحيلا بل هو ممكن عقلاً ، فقد عرفنا من أنفسنا وأرشدنا إليه العلم قديما وحديثا بأن من بعض المواد ما هو ألطف من بعض، فبعض القوى والطاقات ندرك آثارها ولا ندرك حقيقتها كالكهرباء مثلا والجاذبية – فهذه لا تدرك بالحس، وقد أثبت العلم بأن ما يدرك بالحس لا يجاوز عُشر ما ليس بمحسوس فإذا كان هذا في القوى والمواد فلا يمنع العقل وجود ما ليس بمحسوس وهو واقع فعلا . فما المانع من أن تكون لدى الأنبياء قدرة على الاتصال بهذا الملك ورؤيته بحسب استعداداتهم النفسية لاسيما وقد أثبت القرآن الكريم وجود الملائكة التي هي أجسام روحانية فقال تعالى: ﴿ **تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ** ﴾[1] . قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [2] .

وقد أخبر الله عن الطريقة التي ينزل بها الوحي، فقال تعالى: ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ [3] .

وما دام قد توافر الركنان وهما وجود النفس الطاهرة الزكية والتي

---

(١) سورة القدر الأية : ٤ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٣٠ .

(٣) سورة النحل الآية :١٠٢ .

بها من القوة أن ترى ما لا يراه الناظرون، ووجود الملك وهو نوع من مخلوقات الله سبحانه يكون واسطة في تبليغ وحي الله إلى أنبيائه ، فإمكان الوحي ليس بممتنع .

أما كون الوحي واقع فعلا ، فدليل ذلك يتحقق بأمور ثلاثة :

١- المعجزة الخارقة التي يظهرها الله على يد مدعي النبوة وهذه المعجزة دليل لمن حضر زمن النبي وعاصره وشهد وقوع المعجزة وظهورها على يديه ، فإن ذلك يفيد اليقين وبأنه صادق في دعواه الرسالة وأن الوحي ينزل عليه .

٢- الخبر المتواتر بوقوع الوحي بالنسبة لمن هو غائب عن عصر النبي والمتواترات أحد أقسام الضروريات والخبر المتواتر رواية خبر عن مشهود من جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وآياته قهر النفس على اليقين بما جاء فيه كالأخبار بوجود مكة وأن عاصمة مصر القاهرة ، وسبب استحالة تواطؤهم على الكذب استيفاء الخبر لشرائط معلومة وخلوه من عوارض تضعف الثقة به ومرجع كل ذلك إلى العدد وبعد الراوي عن مضمون التشيع [١] .

٣- خبر المعصوم ﷺ بذلك الوقوع بمعني إخباره بأمور لا يطلع عليها ولا يعرفها إلا الله وأنها جاءت إلى النبي ﷺ عن طريق الوحي . فقد أخبر النبي أن الله بعث أنبياء ورسلا وأظهر على

---

(١) محمد عبده - رسالة التوحيد ص ١١٧ .

أيديهم المعجزات الخارقة فهذا يفيد اليقين بوقوع الوحي لهؤلاء الأنبياء ولأن خبر النبي يأتيه عن طريق الوحي وهو ﷺ ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى.إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى.عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (١).

تعقيب :

وبعد عرضنا لمعني الوحي وإمكانه وطرائقه في اليهودية والنصرانية وفي الإسلام نقرر أن الطرائق والوسائل تكاد تكون متشابهة فالوحي إما أن يكون مباشرة من الله إلى العبد أو بواسطة ، سواء أكانت تلك الواسطة هي روح القدس أم ملكا يوصل مراد الله إلى عبده ، لكن هذا التشابه في الطرائق ليس على طول الخط بل هناك اختلافا بين ما نجده في القرآن وما نجده في العهدين القديم والجديد، ونستطيع أن نبرز أهم هذه الاختلافات على النحو التالى :

١- **في الطريق الأول** - وهو أن يكون الوحي مباشرة من الله إلى العبد - فالواقع أن الوحي يكون بكيفية تليق بذات الله المقدسة ، فلا يكون الكلام بصوت أو بتموجات وذبذبات هوائية ولا يصح أن يظهر الله بصورة بشر أو يتشخص بصورة أمام العبد ، فذات الله منزهة عن كل هذه التصورات والقرآن الكريم وصف هذا الطريق على النحو المذكور ، فالقرآن الكريم يقرر أن الله يوحي إلى أنبيائه بل ويوحي إلى النحل وغيره مما لا يعلمه إلا الله ، والقرأن في كل الحالات يسكت عن الكيفية ، فهذا مما لا يعلمه إلا الله وينبغي علينا

---

(١) سورة النجم الآية : ٣ .

أن نؤمن أن الكيفية مخالفة للحوادث ولائقة بذاته الكريمة .

وفي العهد القديم والجديد نجد الأمر مختلفا ففي سفر التكوين نقرأ (وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة، فنادي الرب الإله آدم وقال له : أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك فخشيت لأني عريان فأختبأت) .

وفي التكوين تقرأ (وظهر له الرب عند بلوطات ممر وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه) ، يقول برسوم ميخائل في تفسير: ((وإذا ثلاثة رجال)) كان أثنان منهم ملاكين في رفقة الرب .

ويقول برسوم أيضا : " كان الوحي يصل إلى الموحي إليه عن طريق كلام من شخص منظور في صورة إنسان أو صورة ملاك وقد يكون الشخص هو الرب ذاته " (١) .

وإذا كان برسوم شارح النص قال ذلك ، فلنتأمل ما قاله الغزالى في هذا الموضوع وإليك النص (فإنا معترفون بإستحالة قيام الأصوات بذاته واستحالة كونه متكلما بهذا الإعتبار) (٢) .

وردًا على سؤال من سائل يسأل عن كيفية سماع موسي عليه السلام لكلام الله تعالى يقول الغزالي : ((قلنا سمع كلام الله تعالى وهو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليس بحرف ولا صوت)). وواضح أن له حرفًا وصوتًا لكن مغاير لنا . أما تشخيص الله وتجسده – فالله يتعالى عن

---

(١) مصدر سابق حقائق كتابية ص٨ برسوم ميخائيل .

(٢) الاقتصاد في الإعتقاد – محمد أبي حامد الغزالي ص١٠٣ .

ذلك علوًا كبيرًا ، لأن الله تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ (١) .

٢- ومن المآخذ على طرق الوحي عند اليهود النصارى كما في العهدين القديم والجديد أن الموحي إليه قد ينادي من قبل الله أو من قبل ملك مرة أو أكثر من مرة ولكنه لا يعرف مصدر النداء ، وقد يتكرر ذلك لكنه لا يهتدى والذي يأخذ بيده من هذه الحيرة أحد الذين جربوا الوحي قبله ، فقد سبق ذكر قصة صموئيل الذي كان يتربي عند الكاهن (عالى) ويخدم بيت الرب حيث نودي عليه من قبل الرب ثلاث مرات لكنه في كل مرة يجهل مصدر النداء حتي ذكر ذلك للكاهن عالى حينئذ أدرك عالى أن الرب يدعو الصبي .

وقد مر ذكر هذه القصة من سفر صموئيل الأول ومعنى ذلك أن الوحي هنا لصبي لم يصل مرحلة البلوغ والأهم أن صموئيل الذي تكرر له النداء ثلاث مرات لم يعرف أنه نداء الرب إلا عندما أدرك ذلك الكاهن عالى وأخذ صموئيل يقول عند النداء : ((تكلم يارب لأن عبدك سامع)) (٢) .

ولكن ما كان الوحي لينزل على رسل الله وهم في لهو عنه وهم غافلون لا يعبأون به ولا يدرون من أمره شيئا . يقول الغزالى في توضيح ذلك ((وسماع النبي من الله يكون بغير وساطة ويستحيل أن

---

(١) سورة الشورى الآية : ١١ .

(٢) سفر صموئيل الأصحاح الثالث .

يكون بحرف أو صوت – مثلنا – لكن يكون بخلق الله علمًا ضروريًا يدرك به الرسول ثلاثة أمور : **أولها** : أن المتكلم هو الله . **ثانيها** : أن ما سمعه هو كلام الله سبحانه . **ثالثها** : مراد الله من كلامه عز شأنه ثم يعقب على كل هذا بتلك العبارة المهمة ((والقدرة الإلهية الأزلية لاتقصر عن ذلك)) (١) .

وما قرره الغزالي هنا يعتبر ردًا على النقطتين السابقتين ، فصدر عبارته دليل واضح على أن كلام الله إلى النبي بغير حرف ولا صوت ثم هو بعد ذلك يقرر أن الله يخلق علما ضروريا يدرك الرسول به ثلاثة أمور كما مر، فالعبد الموحي إليه لاشك انه مدرك أن ذلك وحي من قبل الله ، ونقول مع الغزالى إن القدرة الإلهية الأزلية لاتقتصر عن ذلك لكن الكتاب المقدس لا يعطي للقدرة مثل هذه الطلاقة .

* * * *

(١) الوحي والملائكة – أحمد عبد الوهاب ص٦٤ .

خصائص الوحي في الإسلام

الوحي في الإسلام له خصائص تميزه عن اليهودية المحرفة والنصرانية المزيفة كما يتميز عن مصادر المعرفة البشرية فمن طبيعة الوحي في الإسلام :

١ – **حصوله بالاصطفاء لا بالكسب** : فالوحي منحه إلهية يختار الله سبحانه بحكمته من يشاء من عباده ليكون موضع تلقيها . وقد قال الله سبحانه : ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ (١) .

فالنبوة التي هي مؤهل تلقي الوحي نتيجة اصطفاء خاص من الله تعالى لأحد خلقه على الناس كما قال لموسي عليه السلام ﴿ **إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي** ﴾ (٢) .

ويقول الشهرستاني : إن النبوة ليست صفة راجعة إلى النبي ولا درجة يبلغ إليها أحد بعلمه وكسبه ولا استعداد يستحق به اتصالا بالروحانيان ، بل رحمة يمن الله بها على من يشاء من عباده (٣) .

وإذا كانت النبوة قائمة على الاختيار الإلهي المحض فإنه يبطل إدخال بعض الفلاسفة والصوفية لها في قائمة المواهب البشربة المكتسبة، التي تنال بالجد والاجتهاد والإستغراق فى العبادات والتسامي بالروح فوق جواذب المادة وتصفية القلب أو بإطالة المعاناة الفكرية في

---

(١) سورة الأنعام الأية ١٢٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٤٤ .

(٣) نهاية الأقدام – الشهرستاني ص٤٦٢ .

جواهر الأشياء مما يتفجر عنده الحدس بالحقيقة وتتنزل معه المعرفة المباشرة [١]

كما يبطل اعتبارها نوعا من العبقرية الذاتية أو درجة من الذكاء الفطري الذي يعطي صاحبه استعدادا قويا للإنتقال من المعلوم إلى المجهول بسرعة فائقة ودون ترتيب أدلة لذلك ، وهو ما يسمي بالحدس كما زعم ذلك بعض الفلاسفة ، فابن سينا – مثلا – يرى أن لاكتساب العلوم طريقتين : طريق الحدس ، وطريق التعليم . ويرى أن الناس متفاوتون في الحدس، وأن منهم (من ينتهي في طرف الزيارة إلى أن يكون له حدس في جميع المطالب أو أكثرها ... حتي يشتعل حدسًا وقبولاً لإلهام العقل الفعال فتشرق عليه الصور العقلية دفعة أو قريبًا من دفعة ويصبح عقله مرآة صقيلة تعرف كل شئ من نفسها، وتسمى هذه الحالة من العقل الإنساني عقلا قدسيًا وهو ضرب من النبوة لا بل أعلى درجات النبوة) [٢] .

والحق أن النبوة اصطفاء واجتباء من الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾[٣]، ففي كل هذه منسوبة إلى الله ليس للعبد فيها أي كسب .

يقول الشهرستاني في هذا الصدد : فكما يصطفيكم من الخلق قولاً بالرسالة والنبوة يصطفيهم من الخلق بكمال الفطرة ونقاء الجوهر

---

(١) عرفان عبد الحميد – نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، ص٨٩ .

(٢) جميل صليبا – تاريخ الفلسفة العربية ص ٢٥٩ .

(٣) سورة الأنعام الآية : ١٢٤ .

وصفاء العنصر وطيب الأخلاق وكرم الأعراق فيرفعهم مرتبة حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة وكملت قوته النفسانية وتهيأت لقبول الأسرار الإلهية بعث إليهم ملكاً وأنزل عليهم كتاباً (١) .

ويقول صاحب كتاب جوهرة التوحيد : وانعقد إجماع المسلمين على أنها لم تكن مكتسبة ولو رقى في الخير أعلى عقبة – أي أشق الطاعات – بل ذاك فضل من الله يؤتيه لمن يشاء جل الله واهب المنن (٢).

وحال النبي ﷺ يؤكد بطلان القول باكتساب النبوة ، فالرسول ﷺ لم يحظ بالنبوة نتيجة جهد ذاتي ومعاناة هادفة ولا ثمرة ذكاء متفوق وعبقرية فذة ، فلم يكن في الأربعين سنة السابقة لبعثته متميزًا بشئ لافت للأنظار من هذا القبيل ، ولم يكن – آنذاك – متجهاً إلى تفكير فلسفي يسعى إلى التماس الحقيقة من ورائه .

لقد بدأ الوحي إرهاصاته الأولى عليه وهو يعيش حياته العادية مع الناس بالرؤيا الصادقة التي نُبئ فيها بأشياء تأتي في الواقع وفق ما رآها ولعلها والله أعلم تمهيدًا لأحوال الوحي الأخرى التي يحتمل أثناءها جهدًا كبيرًا وبعد ذلك حبب إلى الرسول ﷺ الخروج إلى غار حراء للتحنث (٣) .

ثم نزل عليه الوحي بصورته المشهورة والثابتة حينما جاءه جبريل

---

(١) الشهرستاني – نهاية الأقدام ص٤٦٣ .

(٢) شرح جوهرة التوحيد للشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي – السعادة بمصر ص١٨٥ .

(٣) **التحنث** : هو الإنقطاع للعبادة أو اعتزال الأصنام .

وغطه ثلاث مرات، وقال له : اقرأ ، فقال : لست بقارئ حتى قال في الرابعة : وما أقرأ ؟ قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (١) .

وقد اعتراه عليه الصلاة والسلام رعبٌ شديدٌ نتيجة ما حدث وذهب فورًا إلى زوجته خديجة – رضي الله عنها – وأخبرها بما حدث، وأفضى إليها بأنه خشي على نفسه مما حدث له ، مما يدل على أنه ما كان منتظرًا هذا الوحي ولا متطلعًا إلى درجة النبوة ، كما ذكر الله ذلك في قوله سبحانه : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٢) .

ولقد كان هناك متطلعون إلى هذه الدرجة مثل أمية بن أبي الصلت (٣) أحد معاصري رسول الله ﷺ ، وقد درس علوم أهل الكتاب وقال شعرًا كثيرًا مملوءًا بالحكمة والإيمان وكان يتطلع إلى أن يصبح نبيًا وينتظر علَّ الوحي ينزل عليه ، ولكن ذلك لم يحدث ولم يستطع علمه وقدراته وتطلعه أن يبلغ به تلك الدرجة التي لا ينالها إلا من اجتباه الله لذلك اجتباءً ، ولعل مما أوقع التصور الفاسد بأن النبوة كسبية في أذهان بعض الناس مثل ما فعله الفارابي حين وضع الفارابي الفيلسوف في منزلة أعلى من النبي ، فوصول النبي في رأيه للعقل الفعال عن طريق المخيلة في حين أن الفيلسوف يدرك الحقائق بواسطة العقل والتأمل (٤) .

---

(١) صحيح البخاري جـ١ ص٣ ، والآية : ١ من سورة العلق .

(٢) سورة القصص الآية : ٨٦ .

(٣) شاعر جاهلي، في شعره مواعظ أدرك النبوة المحمدية ولم يسلم، توفى سنة ٥هـ . انظر الأعلام جـ٢ ص٢٣ .

(٤) انظر آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي .

أقول : أن الذي أوقع الفارابي وغيره فيما قالوا به وتفسيرهم الوحي والإلهام على نحو يتعارض مع ما ورد من نصوص ثابتة تقرر أن جبريل كان ينزل على النبي ﷺ في صورة بعض الأعراب ، وكانت تسمع له صلصلة كصلصلة الجرس ، هو سوء فهمهم كيفية تنزل الوحي على النبي وقياسه على حدوث المعارف الأخرى لدى الإنسان من مصادر المعرفة الأخرى ، وكذلك اتجاه كثير من فلاسفة العصر العباسي إلى تأكيد الاتصال الوثيق والتوافق بين الفلسفة والشريعة الذي يرتكز على التقريب بين الفيلسوف والنبي، وقد تم ذلك في مرحلة استحواذ الفلسفة اليونانية على تفكير أولئك الفلاسفة مما جعلهم يعتبرونها الأصل الذي تقاس به الأشياء ، فكان الفيلسوف ومنهجه في تحصيل الحكمة – لدى الفلسفة اليونانية – أساس عملية المقارنة مع النبي .

ويذكر مسكويه (١) الأمور التي يخبر بها النبي من مستقبله وماضيه فيبين أنه والفيلسوف (متفقان في تلك الحقائق لأن الفرق بينهما أن أحدهما ارتقى من أسفل ، والآخر انحط من علٍ وكما أن المسافة بين السطح والقرار واحدة ، كذلك الحال في تلك الحقائق والمشاهدات عند من يرتقي إليها وعند من ينحط إليها (٢) .

فعملية المقارنة بين الفيلسوف الذي يحصل الفلسفة كسباً وبين النبي واعتبار النبوة قوة من قوى النفس والمساواة بين الوحي الذي

---

(١) أحمد بن محمد مؤرخ باحث اشتغل بالفلسفة والأخلاق وغيرها (ت ٤٢١هـ) . انظر الأعلام جـ١ ص٢١١ .

(٢) أحمد بن محمد مسكويه – الفوز الأصغر ص٩٧ .

يجئ به النبي وبين الفلسفة التي يصل إليها الفيلسوف ، كل هذا مما يبعد بالنبوة عن حقيقتها وهو جهل بالنبوة وبالوحي (١) .

٢- الوحي لا يخضع لرغبة الرسول في تنزله

الوحي ينزل طبقًا لمشيئة الله وحده فلا يخضع في نزوله أو تحديد مكانه لرغبة محمد ﷺ ولا ملبياً مطالبه فور الحاجة إليه إذ لم يكن للنبي محمد اختيار فيما ينزل أو ينقطع ، بل يتنزل حسب مشيئة الوحي به سبحانه وحكمته (٢) .

لذلك ، كان الوحي يتتابع عليه أحياناً وينقطع عنه أحياناً أخرى وهو أحوج ما يكون إلى نزوله ، فقد فتر الوحي عن رسول الله ﷺ بعد نزول جبريل عليه بأوائل سورة العلق مدة ثلاث سنين، فحزن النبي ﷺ لذلك حزنًا شديداً دفعه إلى أن غدا مرارًا ليلقي نفسه من شواهق الجبال كمدًا لولا أن يتبدى له الملك جبريل فيقول : " أنت رسول الله ، فيسكن لذلك جأشه " (٣) .

كذلك فقد أبطأ عليه بعد حادثة الإفك العصيبة التي رمى فيها المنافقون ومن تبعهم عائشة - رضي الله عنها - بالفاحشة واغتم لذلك رسول الله ﷺ واستشار أصحابه ماذا يفعل حتى نزلت عليه آيات سورة النور تبرئ أم المؤمنين (٤) .

---

(١) النبوات - أحمد بن تيمية ص٣٥ .
(٢) مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي د. عبد الرحمن بن زيد ص١٥٠ .
(٣) صحيح البخاري جـ٨ ص٦٧ .
(٤) صحيح البخاري جـ٦ ص٥ .

كذلك فإن الوحي ينزل عليه في لحظات تدل حاله فيها على أنه لم يكن منتظرًا نزول الوحي فيها ، فقد حدّث عنه أنس ﷺ أنه ﷺ أغفى إغفاءة ثم استيقظ ورفع رأسه متبسمًا حيث أنزلت عليه سورة الكوثر [١] .

ولقد كانت المجادلة (خوله بنت ثعلبة أو بنت خويلد) تناجيه في أمرها فيفتيها بالحكم الشرعي في مسألتها فتراجعه فيؤكد عليها الحكم وإذا بالوحي ينزل عليه وهي لما تخرج من عنده [٢] .

وهذه الخاصة في طبيعة الوحي تميزه عن مناهج استمداد المعرفة من المصادر الأخرى ، إذ هي بناء على كسبيتها لا تتم إلا من خلال تهيؤ واستعداد وبذل جهد ذاتي من قبل الشخص العارف لتحصيل المعرفة من مثل ما بذله الفيلسوف من تأمل نظر وبحث وما يبذله الصوفي من تجريد واستغراق روحي وفناء عن العالم المادي لينظرا بعد ذلك نتيجته حكمة فلسفية أو كشفًا صوفيًا .

٣- اليقين المطلق

يمتاز العلم الذي يقدمه الوحي بأنه يقوم على اليقين فعلم الله شامل لما كان وما سيكون وما هو كائن إلى يوم القيامة مجرد عن الزمان والمكان وعلم الله لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء ، من هنا كان كل ما قدمه وحي الله قائم على اليقين سواء كان ذلك فيما أخبر به مما وقع ماضيًا أو حاضرًا – وقت نزوله – أو فيما يستقبل من الزمان أو فيما اثبته من حقائق عالم الغيب أو الشهادة .

---

(١) صحيح مسلم جـ١ ص٣٠٠ ، ومسند أحمد جـ٣ ص١٠٢ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي جـ٩ ص٢٧٠ .

وقد قدم الوحي علمًا يقينيا في كل المجالات التي أفلست المصادر الأخرى البشرية من تقديم شئ يقيني فيها .

ومن هذه المجالات: ميدان ما وراء الطبيعة الذي تخبطت الفلسفة فيه كثيرًا وبذلت جهودًا مضنية لوضع تصور حقيقي لا يعتريه الشك، ولكنها لم تستطيع بلوغ ذلك وأعلن كثير من الفلاسفة المتأخرين عجز مصادرهم عن الوصول إلى يقين فيها، كما فعل ديكارت وكذلك رابوبرت الذي يقرر (أن عالم ما بعد الطبيعة عالم درج في غير عشه في بحثه عن شئ فوق المدارك العقلية) (١) .

وقد رأينا الماديين يتنكرون للعالم الغيبي كما هو الحال لدى الوضعيين والماركسيين وغيرهم ، أما الوحي الذي جاء به رسولنا محمد ﷺ فقد جاء بالحق الجلي في هذا الميدان مما يلبي تطلع الإنسان وحاجته، فأخبر عن أصل الكون ومبدئه ومصيره وغايته وقدم تصورًا واضحًا لحقائق الوجود الكبرى الله ، والكون، والإنسان، والوجود الغيبي، وهو ما لا يدرك بالحواس ولا يصل إليه الإنسان بمفرده لمعرفة حدوده وإنما يدركه عن طريق الوحي الإلهي وهو ما يعرف بعالم ما وراء الطبيعة مثل الله جل جلاله ، والمكلائكة ، والجن ، والنار .. إلخ .

إن الوحي الإلهي عرض حقائق الكون كلها ثم طالب العقول بقراءتها وتدبر ما فيها من مظاهر القوة والعظمة والعلم والحكمة ﴿ **قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [يونس : ١٠١] .

---

(١) مبادئ الفلسفة ص٢٦ رابوبرت .

٤- الوحي في الإسلام منزه عن التأثر بالزمان والمكان

لم يكن للزمن الذي نزل فيه الوحي على نبينا محمد ﷺ ولا للبيئة التي عاش بها أي أثر في تكوين وتشكيل المعرفة التي جاء بها ، فلم يكن للأعراف والعادات والطقوس التي تحيط بمحمد ﷺ أي تسلسل إلى تلك الحقائق التي قدمها كما هو الشأن لدى المفكرين والفلاسفة والذين لا يستطيعون التحرر من هذه المؤثرات ، فالعرف والعادات والتقاليد لها سلطان كبير في تكوين أفكارهم .

أما الوحي فلأنه علم صادر من الله العليم الذي يعلم ما خلق ويحيط علما بما كان وما يكون وما سيكون مجردًا عن الزمان، فالوحي منزه عن الزمان والمكان مبرأ من الانطواء في نظرية (اللاوعي) التي جاء بها " يونج " والتي خلاصتها (أن ما يظهر في رؤى الأفراد المنامية وأحلام اليقظة وكذلك الأساطير الدينية هو انبثاق عن اللاوعي إلى الوعي وأن ما يأتي فيها من آراء تكون معبرة بطريقة ما عن المجتمع ومتوافقة مع مشاعره ومصالحه ومصاغة بمقولاته ومبنية على مسلماته) [١] .

ولكن ذلك لا يعني أن الوحي جاء مثاليًا، بعيدًا عن الواقع المعاش ومستغلقًا على الناس الموجودين وقت نزوله، لأنه علم عملي نزل للواقع مؤثرًا فيه وإن لم يتأثر به ، ومن ثم (فقد احتوى الوحي على بيان الحق من الباطل في حياة الناس وأقام لهم منهجًا من الحق المتكامل) [٢] .

---

(١) مناهج المستشرقين جـ١ ص٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٢) الموافقات للشاطبي جـ٢ ص٦٤ .

وقد أخطأ المستشرقون في هذه المسألة في جوانب [1]، فقد قالوا : إن الوحي المحمدي جاء وفقاً للمفاهيم التي كانت رائجة عند العرب وقت نزوله ، حتى ولو كانت خاطئة غير صحيحة ، فالمستشرق بيلر بروز يرى (أن الشكل الذي يتخذه أي وحي تقرره الآراء العامة السائدة عن العالم في الوقت والمكان اللذين ينزل فيهما ، وهذه لا يمكن أن تكون كافية ولا دقيقة ، ولهذا : يجب أن تصحح بعد) [2] .

ويمثل لذلك بما جاء عن الإنسان وأنه خلق خلقاً مستقلاً مباشراً وفقاً للرأي السائد عن الإنسان قبل عصر العلم خلافاً للذائع المشهور الآن من أن الإنسان لم يخلق دفعة واحدة منفصلاً عن الحيوان ولكنه نتيجة لتطور طويل من الأشكال الدنيا للحياة [3] .

وهذا إنما جاء نتيجة قياس الوحي في الإسلام على الوحي في النصرانية الذي لا يشابه البشر بأفكارهم – وللثقة العمياء بمصادر المعرفة البشرية إلى درجة الاعتقاد بعصمتها، كما أخطأوا حين حاولوا إثبات بشريته من خلال تلمس المسائل التي جاء بها مشابهة لمسائل في ديانات أخرى – كاليهودية والنصرانية – لأن هذه المسائل :

إما أن تكون حاجات بشرية ملحة عرفها الإنسان بتجربته قبل أن يأتي بها الوحي إلى القوم النازل فيهم ، كما كانت عند العرب قبل الإسلام قاعدة : (القتل أنفى القتل) وجاء الوحي مقررًا أن في القصاص

---

(١) انظر مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي د.عبد الرحمن بن زيد الزنيدي ص١٥٧

(٢) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ص٤٧ .

(٣) المرجع نفسه ، نقلاً عن د. عبد الرحمن بن زيد ص١٥٨ مصادر المعرفة .

حياة للناس .

وإما أن تكون من بقايا الدين الصحيح الذي جاء به موسى وعيسى – عليهما السلام – ، ولم يحرف خاصة بعض ما فيها من أخبار الأمم السالفة والكون والحق : أن الأولى في مثل هذا : عده دليلاً على صدق محمد الأمي في نسبته هذا الوحي إلى الله ، وبهذا جاء القرآن ﴿ **أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ [١] .

٥- من خصائص الوحي الإسلامي : انتفاء – الحلول في تلقي الوحي [٢]

الوحي : علم وأمر يتم بين ذاتين ملقية هي : ذات الله – سبحانه وتعالى – أو ذات جبريل متلقية عن الله ، وذات متلقية هي : ذات الرسول ﷺ وذات الله وذات جبريل مباينتان لذات الرسول ﷺ دائماً حال الإلقاء والمتلقي، سواء كان الإلقاء بصوت يسمعه أو بغير صوت.

فليس الوحي حلولاً لذات الله في ذات الرسول أو اتحادًا بينهما ، ومذهب الحلول الذي قال به الإشراقيون وغلاة المتصوفة في البيئة الإسلامية، وقد اشتهر به الحسين بن منصور الحلاج[٣] في القرن الثالث

---

(١) سورة الشعراء الآية : ١٩٧ .

(٢) انظر مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي د. عبد الرحمن بن زيد ص١٥٩ .
وقد تكلف المستشرقون في دعوى تأثر الوحي المحمدي بالأديان الأخرى ، فقد زعم ترتون أن الرسول : (أخذ فكرة صلاة الجمعة من الزرادشتية وأن الصلوات الخمس من تأثير الطقوس الدينية الفارسية ...) عرفان عبد الحميد – المستشرقون والإسلام ص٢٥ .

(٣) فيلسوف صوفي ألف كتب كثيرة في التصوف وغيره واتهم بالتشيع ، قتل ==

الهجري، فقد زعم الحلاج أن روح الله حلت فيه كما حلت في عيسى عليه السلام، وأن روح الله وروحه قد اندمجتا حتى صارتا روحًا واحدة حيث اتصفت بهذا الاتحاد صفات الناسوت باللاهوت [(١)] .

وقالت به – أيضًا – مذاهب ضالة كثيرة – كالمقنعية والشلمغانية – اللتين تزعمان أن الله حلّ في آدم ثم في شيت ثم في الأنبياء واحدًا بعد الآخر، ثم في الأولياء حتى وصلت النوبة إلى زعمائهم وصاروا يتكلمون باسم الله الذي حل فيهم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [(٢)] .

أما في الإسلام فإن أصول عقيدة المسلم التي جاء بها الوحي المحمدي اليقين بمباينة الله لخلقه أيا كانوا وفي أي درجة من السمو الروحي ارتقوا حتى بالنسبة للرسول ﷺ ومعنى الوحي وكيفياته التي بينها القرآن في سورة الشورى يؤكد القول بانتفاء القلول بالحلول ، ألا ترى إلى الحالة التي كان فيها الوحي مباشرًا بين الذات المقدسة ذات الله – جل وعلا – والرسول محمد ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج حينما

== سنة٣٠٩هـ. انظر ترجمته في وفيات الأعيان جـ٢ ص١٤٠، الأعلام جـ٢ ص٢٦٠ .

(١) من أشعاره :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

انظر : نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ص٢٠٢ .

(٢) **المقنعية** : نسبة إلى المقنع معاصر للحلاج خرج في منطقة ما وراء النهر .

الشلمغانية : نسبة إلى محمد بن الشلمغاني معاصر لهما أيضا وقد ادعيا الألوهية وأسقطا الفرائض وهما اللذان أرسيا فكرة الحلول في طائفتيهما .

انظر: عبد القاهر البغدادي– الفرق بين الفرق ص٢٥٧، نشأة الفلسفة الصوفية ص١٩٣.

سئل ﷺ هل رأيت ربك ؟ فقال : ((نورٌ أنيّ أراه)) [(١)] .

وقالت عائشة – رضي الله عنها – حينما سمعت من يقول أنه رأى ربه : لقد قف شعري مما سمعت ، ومن حدثكم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية [(٢)] . فإذا كان حيل بين الرسول ﷺ وبين رؤية ربه لأن الله أعظم من ذلك ، فكيف يتجاوز إلى ما هو أكبر من ذلك ؟ وهو زعم حلول الذات العلية في الذات الإنسانية الفانية .

٦– مستند الوحي في الإسلام

إن طبيعة الوحي في الإسلام تختلف في مستندها عن المصادر الأخرى، فإذا كان العقل يستند إلى أدلته القائمة على المبادئ الفطرية في الإنسان لإثبات أن ما قدمه من معرفة صحيح ، وإذا كانت المعرفة الحسية تستند إلى التجربة الراجعة إلى العقل، التي يوصل من خلالها إلى المعرفة الصحيحة ، فإن مستند الوحي كونه من علم الله سبحانه وعلم الله مستغن عن الاستعانة بأي وسيلة للوصول إلى معرفة الحقيقة.

فحسب المتلقّي للمعرفة من هذا المصدر أن يكون مؤمناً بأن الوحي من عند الله سبحانه مستمد من علمه ليستقبل أخبار هذا الوحي وعلمه على أنه الحق الصحيح ، ولكن بما أن العقل البشري وسيلة

---

(١) صحيح مسلم جـ١ ص١٦١ .

(٢) وحتى على القول الضعيف بأنه رأى ربه فإنه يبين بينونة ذات الله عن ذات محمد ﷺ . العقيدة في الله – عمر الأشقر ص١٧١ .

وقد أخبر الله موسى حينما طلب رؤيته أنه لن يراه في الدنيا وأنه لا يستطيع ذلك ، بل إن الجبل الصلد لا يطيق ذلك التجلي حيث يتجلى الله قال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا ﴾.

الإنسان لتلقي الوحي وتفهمه ، فقد جاء الوحي في إطار مفهوميته ومتطابقاً مع مبادئه الفطرية ، لأن الذي أنزله هو الذي خلق الإنسان وحتى يستفيد الإنسان فقد أنزله منسجماً مع فطرته ، بل إن الوحي قد دلل على مسائل كثيرة ذكرها بالأدلة العقلية التي يستند العقل إلى مثلها في إثبات الحقائق ، من مثل ما ذكره لبيان ألوهية الله وإمكان البعث ووقوعه وإمكانه خلافا لمن يرى من الفلاسفة أن دلالة الوحي ، إنما هي بطريق الخبر المجرد فقط ، والحق الجلي عند كل عاقل أن الوحي بين كثيراً من الأدلة العقلية على كثير من المسائل الكلية – بأسلوبه الخاص – تأكيدًا لحقيقة ما جاء به وإلا فأساس التصديق بصحة ما أخبر به واعتباره حقاً مطلقاً هو الإيمان بأن هذا الوحي من علم الله المحيط بكل ما كان وما يكون – أي الإيمان بصدق الرسالة الإسلامية.

* * * *

شبهات واهية

الوحي أمر خارج عن النفس :

الاعتقاد بالوحي هو الأساس الذي يبني عليه الاعتقاد بالنبوات وهو الطريقة التي جاءت بها العقائد والأحكام الشرعية وغيرها لذلك اهتم كثير من أعداء الإسلام بإثارة الشكوك حول الوحي مقتفين أثر جهلاء قريش وسفهاء المشركين في إدعاءاتهم الملفقة الكاذبة حول الرسول الأعظم ﷺ حين قالوا عنه أنه ساحر أو مجنون أو شاعر .

حتى قال هؤلاء من المستشرقين[١] وغيرهم أن الوحي ما هو إلا حديث النفس وإلهامها (إن محمدًا كان من أصحاب النفوس الصافية والخيال الواسع والإحساس العميق والعقل المتوقد ، ولذا انصرف في وقت مبكر إلى التفكير في المسائل الدينية ولم يجد في العبادة الوثنية التي تقوم من حوله ما يروي ظمأه الروحي[٢] .

وهذه الأفكار ولدت إلهامًا في نفسه فاض من عقله الباطن على مخيلته وانعكس على بصره وسمعه فتصور أنه يرى ملكا يخاطبه أو يتمثل له رجلاً أو يرى في منامه ما اعتقد أنه وحي من الله كلف بإبلاغه إلى وطنه [٣] .

---

(١) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ص١٣٤ جـ١ ط. ٣ .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية ص٣٤ لبروكلمان .

(٣) انظر : الأعلام جـ٥ ص٢١١، آراء المستشرقين حول القرآن جـ٨ ص١٩٧ - ١٩٨ .

ويقول المستشرق بروكلمان[١] مصورًا لنا الوحي النفسي ، بينما كان معاصري النبي كأمية بن أبي الصلت [٢] .

شاعر الطائف وهي بلدة بحذاء مكة يكتفون بوحدانية عامة كان محمد يأخذ بأسباب التحنث [٣]، والتنسك [٤] ويسترسل في تأملاته حول خلاصة الروحي لبالي بطولها من غار حراء [٥] قرب مكة ، لقد تحقق عنده أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة فكان يضج في أعماق نفسه هذا السؤال : إلى متى يمدهم الله في ضلالهم ما دام هو عز وجل قد تجلى آخر الأمر للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه ؟

وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة رسالة النبوة ، ولكن حياءه الفطري حال بينه وبين إعلان نبوته فترة غير قصيرة ولم تتبدد شكوكه إلا بعد أن خضع لإحدى الخبرات

---

(١) بروكلمان هو كارل بروكلمان، مستشرق ألماني تعلم اللغة العربية، عضو المجمع العربي وكثير من المجامع الأخرى بألمانيا، مات سنة ١٩٥٦م، من مؤلفاته تاريخ الأدب العربي، تاريخ الشعوب الإسلامية . انظر الأعلام جـ٥ ص٢١١، آراء المستشرقين حول القرآن جـ٨ ص١٩٧ – ١٩٨ .

(٢) لأمية بن بي الصلت هو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن ربيعة شاعر جاهلي من أهل الطائف ، اطلع على الكتب القديمة ، وقد لقى النبي ولم يؤمن به ، مات سنة ٥هـ على خلاف في ذلك (البداية والنهاية جـ٢ ص٢٢٠ ، الأعلام جـ٢ ص٢٣) .

(٣) **التحنث** هو التعبد من الحنث وهو الإثم أي يفعل فعلاً يخرج به من الإثم والحرج (لسان العرب جـ٢ ص١٣٨ – ١٣٩) .

(٤) **التنسك** هو التعبد من النسك وهو الطاعة والعبادة وكل ما يتقرب به إلى الله تعالى . انظر لسان العرب جـ١ ص٤٩٨ .

(٥) **حراء** جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال . معجم البلدان جـ١ ص٢٢٣ .

بخارقة في غار حراء ذلك بأن طائفاً تجلى له هنالك يوماً هو الملك جبريل على ما تمثله محمد فيما بعد فأوحى إليه أن الله قد اختاره لهداية الأمة وآمنت زوجه في الحال برسالته المقدسة وتحرر هو نفسه من آخر شكوكه بعد أن تكررت الحالات التي ناداه فيها الصوت الإلهي وتكاثرت ولم تكد هذه الحالات تنقضي حتى أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحي من عند الله [١] .

والرد على هذه الشبهات الواهية بما يلي :

الوحي ليس من قبيل الحدس والشعور الباطني، ودلالات النفس والفراسة السريعة التي غالباً ما تتأثر بالرياضيات الروحية والتفكير المستديم الطويل – أي أنه ليس من قبيل الوحي النفسي الذي هو الإلهام الفائض من استعداد النفس العالية والسريرة الطاهرة [٢] ، لأن هذه لا تنشئ المعرفة التامة واليقين الكامل الذي لا ريب فيه فلا تسمو بصاحبها إلى درجة النبوة بل إن الوحي هو (أمر طارئ زائد على الطباع البشرية[٣] خارجي عن النفس والباطن لا يخضع لأي تأثير يطرأ عليها يتلقاه النبي ﷺ من الذات الإلهية بواسطة الملك الموكل بذلك ، والذي يدقق النظر في كيفية الوحي ومعالمه وما يطرأ على النبي ﷺ من ظواهر يدرك أن الوحي لا يتصل بهوى النفس يتضح ذلك في الأمور الآتية [٤] :

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية – برزكلمان ص٢٦ .

(٢) الوحي المحمدي ص٦٦ محمد رشيد رضا .

(٣) إرشاد الساري جـ١ ص٦٠ بشرح صحيح البخاري القسطلاني، ط. ببولاق سنة١٣٢٣هـ .

(٤) الوحي المحمدي ص٨٩ .

١) أن جبريل حمله عليه السلام من عند الله إلى النبي ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (١)، فحامله عليه السلام ملك منفصل عن ذات محمد ﷺ ليس خيالا فيها وله من الصفات ما بينها الله في قوله : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ . وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ . وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ . فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ . إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ . لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ . وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

٢) إن النبي ﷺ لم يكن يستشرف النبوة وما كان يرجوها ولم يطمع في حصولها له ، بل لم يرد في الأخبار الصحيحة أنه ﷺ يرجو أن يكون هو النبي المنتظر الذي يتحدث عنه علماء اليهود والنصارى قبل البعثة ولو ثبت ذلك عنه لما ترك العلماء تدوينه وقد دونوا ذلك عن أمية بن أبي الصلت لما كان يتوقع أن يكون نبياً ، وقد جاء في القرآن نفي ذلك عنه ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٣)، فما كان الرسول ﷺ يظن أن الوحي قبل إنزاله عليه ينزل عليه ، وإنما أنزله الله رحمة به وبالعباد فهو نعمة من الله وفضل (٤) .

---

(١) سورة الشعراء الآيات : ١٩٢ – ١٩٥ .

(٢) سورة التكوير الآيات : ١٩ – ٢٩ .

(٣) سورة القصص الآية : ٨٦ .

(٤) الوحي المحمدي ص١٢٣ – ١٢٤ محمد رشيد رضا .

وأما اختلاؤه ﷺ وتعبده في الغار عام الوحي فلاشك في أنه كان عملاً كسبياً مقوياً لذلك الاستعداد ولذلك الاستعداد السلبي من العزلة وعدم مشاركة المشركين في شئ من عباداتهم ولا عاداتهم ، ولكنه لم يكن يقصد به الاستعداد للنبوة لأنه لو كان لأجلها لاعتقد حين رأى الملك أو عقب رؤيته حصول مأموله وتحقق رجائه ولم يخف منه على نفسه وإنما كان الباحث لهذا الاختلاء والتحنث اشتداد الوحشة من سوء حال الناس والهرب منها إلى الإنس بالله تعالى والرجاء في هدايته إلى المخرج منها (١) .

٣) إن الوحي الذي حدث للنبي ﷺ هو حدث إلزامي فجائي طارئ لا يمكن إحضاره واجتلابه وبالتالي لا يمكن رفعه ورده ومن أوضح الأدلة على ذلك ما يعتريه من أعراض جسدية لا سيطرة له عليها كاحمرار وجهه وتتابع أنفاسه وسماع غطيط منه (٢) وما يتقاطر منه من عرق في اليوم الشديد البرد وثقل جسمه وما يسمعه الصحابة عند وجهه من صوت كدوي النحل وهذه الأعراض لا تعتريه ﷺ إلا في فترات وجيزة وبرهات متقطعة وذلك عند نزول الوحي، ففي حديث البخاري كتاب بدء الوحي (٣) : ((أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فينصم عني وقد وعيت عنه ما قال)) .

---

(١) الوحي المحمدي ص١٣١ - ١٣٢ .
(٢) صحيح البخاري - كتاب الحج .
(٣) صحيح البخاري جـ١ ص٣ .

وفي مسند أحمد [(١)] عن عبد الله بن عمرو ﷺ سألت النبي ﷺ : هل تحس بالوحي ؟ فقال : نعم اسمع صلاصل ثم اسكت عند ذلك ، فما من مرة يوحي إلى إلا ظننت أن نفسي تفيض ، ويتفصد العرق منه في اليوم الشديد البرد . ففي حديث البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقاً) .

وفي صحيح مسلم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : (إن كان ينزل عى رسول الله ﷺ في الغداة الباردة ثم تفيض جبهته عرقاً) – كتاب الفضائل – باب عرق النبي في البرد حين يأتيه الوحي .

وفي صحيح مسلم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : (حتى إذا أنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ فأخذه ما كان يأخذ من البرحاء عند الوحي حتى إنه ليتحرر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشات من ثقل القول الذي أنزل عليه) من حديث الإفك وهو في صحيح البخاري من حديث الإفك أيضًا في رأسه ويتربد وجهه (أي يتغير فيصبح كلون الرمان) .

ففي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : " كان نبي الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه " .

وفي رواية أخرى : " كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم، فلما اتلى عنه (أي ارتفع عنه الوحي رفع رأسه) – كتاب الفضائل – باب عرق النبي في البرد حين يأتيه الوحي.

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ٢ ص٢٢٢ .

وأخرج ابن سعد عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يغط في رأسه ويتربد وجهه (أي يتغير لونه) بالجريذة ويجد بردًا في ثناياه ويعرق حتى ينحدر منه مثل الجمان .

لذلك كان يستر وجهه بثوب عند نزول الوحي عليه وله غطيط من الآلام التي يعانيها من الوحي. ففي البخاري – باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج – عن يعلي بن أمية : أن رجلاً أتى النبي ﷺ وهو بالجعرانة وعليه جبة وعليه أثر الخلوق (وهو نوع من الطيب) أو قال صفرة ، فقال : كيف تأمرني أن أضع في عمرتي ؟ فانزل الله على النبي ﷺ فستر بثوب ووددت أني قد رأيت النبي ﷺ وقد أنزل عليه الوحي ، فقال عمر : أيسرُك أن تنظر إلى النبي ﷺ وقد أنزل عليه الوحي ؟ قلت : نعم ؛ فرفع طرف الثوب فنظرت إليه له غطيط (صوت فيه بحوحة) وأحسبه قال : كغطيط البكرِ (الفتى من الإبل) فلما سُرِّىَ عنه قال : أين السائل عن العمرة ؟ اخلع عنك الجبة واغسل أثر الخلوق عنك وانق الصفرة في عمرتك ما تصنع في حجك .

يسمع الصحابة عند وجه النبي ﷺ حين الوحي دوياً شديداً كدوي النحل ينطلق من خليته كما جاء في صحيح الترمذي – باب التفسير (من سورة المؤمنون) قال عمر بن الخطاب ﷺ كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل يثقل جسمه ﷺ عليه .

ففي حديث البخاري عن ابن عباس ﷺ كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل – أي القرآن لثقله عليه – شدة .

وفي زاد المعاد : يذكر حال نزول الوحي عليه ﷺ (حتى أن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها)، ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى صارت ترضها [١] . وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً** ﴾ [٢] .

ولا يحتمل هذا الثقل إلا نبي ليرتاض جسده على تحمل عبء النبوة كل هذه الظواهر تدل على أن الوحي مستقل عن نفس محمد ﷺ، لأن حديث النفس والإلهام والتأمل لا يستدعي ظهور هذه الأعراض التي ذكرناها من الآلام والغطيط وتربد الوجه وتفصد العرق في اليوم الشديد البردِ الوعي الكامل والحفظ لما أنزل عليه ﷺ عند الوحي وبعده وعرض جبريل عليه السلام القرآن الكريم كل سنة على النبي ﷺ . لا يدخل في هوى النفس ولا يعتبر من الهاماتها بأية حال .

ففي صحيح البخاري يقول النبي ﷺ: " أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيصم عني، وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني ، فاعي ما يقول " .

ففي الحالتين يحصل الوعي الكامل لكل ما أوحي إليه وكان رسول الله ﷺ في أول نزول الوحي يحرك لسانه متابعاً جبريل أثناء الوحي يردد ما أوحي إليه مخافة أن ينساه ، لكن الله تعالى طمأن نبيه بأن

---

(١) ابن القيم – زاد المعاد جـ١ ص١٨ ، وحديث الرض رواه البخاري في كتاب الجهاد – باب قوله تعالى: ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ﴾ انظر إرشاد الساري جـ٥ ص٦١ .

(٢) سورة المزمل الآية : ٥ .

يتكفل له بحفظه فلا سوغ لتحريك اللسان ، به قال تعالى : ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (١) .

ففي صحيح البخاري في باب بدء الوحي : عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل – أي القرآني لثقله عليه – شدة وكان مما يحرك شفتيه ، فقال ابن عباس فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله ﷺ يحركهما ، وقال سعيد أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفتيه فأنزل الله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، قال ابن عباس جمعهُ لك صدرُك وتقرأه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، قال : فاستمع له وانصت ، ثم أن علينا بيانه : ثم إن علينا أن تقرأه ، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأ ولذلك كان جبريل عليه السلام يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن .

ففي حديث البخاري في كتاب فضائل القرآن – باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ عن عائشة – رضي الله عنها – عن فاطمة – عليها السلام – أسر إلى النبي ﷺ أن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي . قال ابن كثير : هكذا رواه البخاري معلقاً ، وقد أسنده في مواضع أخر في أحاديث عن ابن عباس وأبي هريرة ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجة .

---

(١) سورة القيامة الآيات : ١٦ – ١٩ .

والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى وذلك حتى يكون أثبت وأرسخ فلا ينساه (١) .

٤- انقطاع الوحي وابطاؤه عن النبي ﷺ وهو يتحرق شوقاً إليه دليل استقلالية الوحي عن نفسه وفكره فلا يصدر عن ذاته ولا يوافيه طوع إرادته فلا ينزل عليه إلا إذا شاء الله دون أن يتدخل في ذلك النبي ﷺ ، ومن أمثله انقطاعه :

بعد نزول جبريل بآيات ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ..** ﴾ انقطع عنه الوحي ثلاثة أعوام، وفي بعض الأحاديث سنتين ونصف (٢) فحزن النبي ﷺ حزناً حتى غدا منه مراراً أن يتردى من رؤوس شواهق الجبال كما روى البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – في باب أول ما بدء رسول الله ﷺ من كتاب التعبير (٣) .

وبينما هو ماش ذات يوم إذ سمع صوتا من السماء فرفع بصره ، فإذا الملك الذي جاءه بحراء ، فرعب منه فرجع إلى زوجته خديجة ، يقول : زملوني زملوني فأنزل الله : ﴿ **يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ ...** ﴾

---

(١) انظر معارضة جبريل للنبي بالقرآن في فضائل القرآن لابن كثير وهو ذيل تفسيره ص٢٦ – ٢٧ .

(٢) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري جـ١ ص٦٧ .

(٣) ولفظ في الحديث هو « وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي – فيما بلغنا – حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى منه بذوره جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد أنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل ، فقال له مثل ذلك » أرشاد الساري جـ١ ص١٢١ .

فحمى الوحي وتتابع .

وفتر الوحي شهرًا كما في البخاري - باب حديث الإفك - من كتاب المغازي، والنبي في أشد الشوق إليه ليحل الأزمة التي حدثت من الإفك الذي رمى المنافقون فيه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بالفاحشة حتى قال النبي ﷺ : ((يا عائشة إما أنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله)) ، فنزلت سورة النور في تبرئتها بعد كلام الناس بشهر لم يَر المتأمل أن هذا الشهر هو أطول من سنين والتي فيه ينتظر الوحي مع القلق والشك المستديم ، **فلو لم يكن الوحي شيئاً خارجياً** لادعى نزوله حين حدوث الإفك وقطع النزاع فيه .

ولم ينزل الوحي ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا بشأن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة مع حسبة التحويل ، فنزل الوحي بعد ذلك بالآية **﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾** كما جاء في الترمذي [(١)] .

وهذا الانقطاع أيضاً يدل على أن النبي ﷺ ما كان ليفترى على الناس حديثا إذ أنه لم يتحدث في أثنائه بمسائل الدين والقرآن ولانم

---

(١) في صحيح الترمذي بشرح عارضة الأحوذي جـ١١ ص٨٥ باب التفسير (عن البراء بن عازب قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة أو سبعة أشهراً وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله قد نرى تقلب وجهك .. إلى قوله المسجد الحرام فوجه نحو الكعبة وكان يحب ذلك) كما ذكر هذه المدة البخاري في كتاب التفسير، من صحيحه عند الآية المذكورة عن البراء بن عازب أيضاً .

الشرك وأهله إذ لو تحدث بذلك لنقله لنا ألصق الناس به كخديجة وعلي وزيد بن حارثة في بيته وأبي بكر الذي عاشره طول عمره .

فهذا السكوت وحده في فترة الوحي برهان قاطع على بطلان ما صوروا به استعداده للوحي الذاتي .

٥- من أسباب نزول القرآن الكريم أن النبي ﷺ كان يُسأل في بعض الأحيان فلا يملك للسؤال جواباً فيسكت وقد يستمر سكوته مدة طويلة ، فإذا نزلت الآية دعا السائل وتلا عليه ما نزل من القرآن بشأن سؤاله، وكان يجيب أحياناً فيرد الوحي بخلاف جوابه ، وفيه بعض العتاب أو الملامة فهذا دليل على أن الوحي أمر خارجي عن النفس ، إذ لو كان بوحي داخلي لا يحتاج إذا سئل إلى انتظار الجواب ولا إلى تصحيح إذا أجاب أول الأمر .

٦- نهى النبي ﷺ عن تدوين كلامه إبان نزول الوحي خشية اختلاطه بالقرآن الكريم لأنه يعلم تماماً : أن القرآن كلام أوحي إليه من الله تعالى بلفظه ومعناه ولا يملك أن يغير منه حرفاً واحداً .

وكان إذا نزلت أية أمر كتّاب الوحي بكتابتها فعلّم المسلمين أن القرآن كلام رباني يصدر عن ذات الله الآمرة بواسطة الوحي حتى إذا استقر منهم المسلمين لهذا الأمر أُذِنَ لهم بكتابة الحديث .

وهذا يفيد أن النبي ﷺ كان يفرق بين القرآن وبين الحديث وإن كان معنى الحديث سواء كان قدسياً أو غيره هو من الوحي، إلا أنه يصوغه بأسلوبه البشري، وشتان ما بين أسلوب القرآن ، لأنه

من الله رب البشر وبين أسلوب الحديث وإن كان من أفصح الناس وذلك للمتأمل بلا ريب .

٧- أقام النبي ﷺ في قومه أربعين سنة قبل أن يوحى إليه ولم يكن معروفاً بينهم بالعلم والمعرفة ولا التخيل ولا الوهم الديني ولا الشعر ولا الخطابة ، بل كان أمياً لا معرفة له بالكتابة ولا القراءة ولكنه فجأة يدعوهم إلى عقيدة حكيمة وعبادات سليمة وآداب سليمة وآداب مستقيمة وأخلاق قويمة فأشربها ملايين البشر ودانوا لله بها ولم يأت ما يبين عدم صحتها أو استقامتها .

فلا يمكن لهذه الأحكام التي تتسم بالكمال والاستمرارية أن تكون صادرة إلا من الخالق العظيم المطلع على غيب السموات والأرض سبحانه وتعالى[١] .

قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [٢] .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ **قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ** ﴾ أي هذا إنما جئتكم به عن إذن الله لي في ذلك ومشيئته وإرادته ، والدليل على أني لست أتقوله من عندي ولا افتريته أنكم عاجزون عن معارضته وأنكم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأت بينكم إلى حين بعثني الله ﷻ لا تنتقدون على شيئا تغمضوني به ،

---

(١) الوحي المحمدي ص٩٣ – ١٣٧ .

(٢) سورة يونس الآية : ١٦ .

ولهذا قال : ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ أي فليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل [١] .

٨- موضوع الوحي :

الرسول ﷺ أمي لا يعرف القراءة والكتابة عاش في بيئة بدوية وثنية ومعارف أهلها وعلومهم بدائية بسيطة ليس لها قيمة فلا تقارن بما تملكه الروم وفارس .

وكان الرسول ﷺ وسلم يذهب إلى غار حراء يتعبد معتزلاً الناس ولم يكن له من علم إلا ما تعلمه من مجتمعه البدائي . وهو في هذه الحال ينزل عليه الوحي بالقرآن الكريم ، وفيه من الحقائق التاريخية والكونية والنظريات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها مما يعالج جوانب الحياة المختلفة التي لم يسبق أن فكر بها أو ذكرها ، واهتم بها هو أو أي واحد في عصره من بيئته أو غيرها، وتلك الحقائق دقيقة محددة ليس لأحد أذكارها حتي إن أحبار اليهود الذين كانوا يجادلون النبي ﷺ كانوا يذهلون حين يرون القرآن يقص عليهم أنباء بني إسرائيل وأنبيائهم [٢] .

كل ذلك يدل على أن هذا النبي الأمي في وسطه البدائي لايستطيع أن يأتي بهذه التشريعات والحقائق العلمية والعينية من نفسه وفكره فلابد إذن من مصدر خارج ذات النبي هو الوحي المنزل عليه من الله تعالي .

---

(١) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص٤١٠ .

(٢) د . رشدي عليان وآخر – أصول الدين الإسلامي ، ص٢٦٤ ط٢ ، ١٩٨١ .

إن ما جاء به إلىالنبي ﷺ كان وحيا تلقاه من الله تعالى ولم يكن صادرًا عن نفسه لأنه حين طلب من النبي إن يبدل شيئا من القرآن أجاب بما أوحي الله تعالى إليه ولم يخف منه ولم يخالفه ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) . الرسول ﷺ بشر لكنه يفترق عن البشر بأنه أوحي إليه قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ (٢)، وتصدير الآيات بكلمة (قل) التي تكررت في القرآن أكثر من ثلاثمائة مرة، وقوله تعالى: اقرأ ، العلق ١ و(اتل) الكهف ٢٧ و(رتل) المزمل ٤ دليل على أن هناك من يوجه النبي ﷺ إلى القول بكذا ودليل على أن القرآن الكريم من عند الله بلفظه ومعناه ولا صنعة فيه لمحمد ﷺ وإنما كان عمله فيه :

أ - الوعي والحفظ . ب- الحكاية والتبليغ .

جـ - البيان والتفسير . د - التطبيق والتنفيذ .

٩ - تمييز الرسول ﷺ بين تجربته الإنسانية الظنية التي تحمل الشك والوهم وبين يقينه الصادر عن الوحي يدل على أنه يتلقى ما يوحي

---

(١) سورة يونس الآيتان : ١٥ - ١٦ .

(٢) سورة الكهف الآية : ١١٠ .

إليه تلقيا اكتسب درجة اليقين فلا يقبل الشك فيما على الناس إلا أتباعه وحادثة تأبير النخل شاهدة على ذلك (أخرج مسلم في صحيحه عن موسي بن طلحة عن أبيه قال ((مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل فقال ما يصنع هؤلاء ؟ فقالوا يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثي فتلقح ، فقال رسول الله ﷺ ، ما أظن يغني ذلك شيئا ، قال : فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإني لن أكذب على الله ﷻ)) .

وفي رواية له : ((أنتم أعلم بأمور دنياكم)) (١) .

١٠ – العتاب الشديد أو اللين الذي جاء في القرآن الكريم للرسول ﷺ وسلم كقوله تعالي : ﴿ **عبس وتولي** ﴾ وقوله ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ** ﴾ (٢) . وقوله ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ** ﴾ (٣).

يدل على أن النبي ﷺ مبلغ وأن ما أوحي به إليه كان أمرا خارجيا ولو كان نفسيا أو من عنده ﷺ لكتمه وما ذكر منه شيئا يتلى على ألسنة الناس .

١١ – التهديد الشديد والإنذار المخيف الموجه من الله تعالى إلى

---

(١) صحيح مسلم تحقيق فؤاد عبد الباقي جـ٤ ص١٨٣٥ – ١٨٣٦ كتاب الفضائل – باب وجوب إمتثال ما قاله شرعا .

(٢) سورة التوبة الآية : ٤٣ .

(٣) سورة الأنفال الآية : ٦٧ .

نبيه يدل على أن الله ﷻ هو مصدر الوحي ولا علاقة له بنفس النبي ويدل على أن النبي شخص مأمور بتبليغ ما كلف به من قوة آمرة عالية لا يملك إزاءها أى تصرف . قال تعالى : ﴿ وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً . إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (١)، وقال : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ . لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ . وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

يقول الزمخشري في تفسيره هذه الآيات: والمعنى ولو ادعى علينا شيئاً لم نقله لقتلناه صبرًا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلةً بالسخط والانتقام فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول، وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار ، لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذه بيساره وإذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور، لنظره إلى السيف أخذ بيمينه(٣).

١٢- لو كان مصدر القرآن العظيم من ذات النبي ﷺ ومن عبقريته وذكائه لكان من الفخر له أن ينسبه إلى نفسه إذ لا يوجد من ينسب لغيره أنفس آثار عقله وأغلى ما تجود به قريحته أو أنه يدعي الألوهية لا النبوة وشتان ما بين مقامها ومقام الألوهية ، لكنه ﷺ يؤكد دائماً بأنه عبد الله وبشر وهو يقيم الليل ويتضرع ويتوسل فيقول في

---

(١) سورة الإسراء الآيتان : ٧٤ - ٧٥ .

(٢) سورة الحاقة الآيات : ٤٤ - ٤٨ .

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري جـ٣ ص٢٦٦ .

دعائه ((أللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني ، أللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي ، أللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير)) (١) .

ويستمد النور الإلهي في دعائه قائلاً : ((أللهم اجعل لي في قلبي نورًا وفي لساني نورًا وفي سمعي نورًا وفي بصري نورًا ومن فوقي نورًا ومن تحتي نورًا وعن يميني نورًا وعن شمالي نورًا ومن بين يدي نورًا ومن خلفي نورًا واجعل في نفسي نورًا واعظم لي نورًا)) (٢) .

١٣- حين نزل الوحي على محمد ﷺ يأمره بالقراءة وانذار الناس تحير في هذا الأمر الطارئ وأخذ يشك، ويتساءل عنه في نفسه ترى ما هو ؟ أهي النفس أم غيرها ؟ فإذا الوحي بعد هذا يفرض الحقيقة الإلهية فرضا عليه ، فيقول له حاكياً ما يدور في نفسه بكل صراحة : **﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلْ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ ﴾** (٣) .

فردّ تعالى لهذا الشك الذي كان يساور محمدًا ﷺ يدل على أن النبي

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء - باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل جـ٤ ص٢٠٨٧ .

(٢) رواه مسلم جـ١ ص٥٣٠ كتاب صلاة المسافرين ومقرها - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه .

(٣) سورة يونس الآية : ٩٤ .

ﷺ كان يستقبل الوحي استقبالاً خارجياً ولم يكن يملك شيئا من أمره لذلك قال بعد نزول هذه الآية : " لا أشك ولا أسأل " (١) .

هذه الأمور وغيرها جعلت النبي ﷺ يتيقن الوحي تيقنا لا يداخله ريب فيه فلم يكن له سبيل في الرجوع عن أمره حتى إذا اعترضت قريش عليه وطالبوا عمه أبا طالب بأن يكف عن دعوته وعن تسفيه آلهتهم ، طالبه عمه بذلك فأجابه : ((والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه)) .

هذا التيقن هو الذي دفعه لتحمل الأعباء الشديدة مع اغراءاتهم وقاسى هو وأصحابه الآلام التي تنوء بها الرواسي في سبيل دعوته وعادى أهله وقبيلته والعرب وغيرهم فاعلن حرباً شعواء على معتقداتهم فنصره الله تعالى على أعدائه وأظهر رسالة الإسلام في الأرض فلم يقف أمامه عائق مهما عظم ولم يصمد بوجهه جبار مهما عتى وتجبر .

وإذا قيل بأن الوحي من قبيل رؤى النائم ، أو افتراءات الكاذب أو أخيلة الشاعر أو أقاويل المجنون :

يرد على ذلك بأن القرآن الكريم صوّر حيرة هؤلاء وتخبطهم في الضلال بأسلوب لاذع ساخر يردد فيها حرف الاضراب (بل) ثلاث مرات .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة نقلاً عن الظاهرية القرآنية ص١٨٨ ناقلاً الحديث عن تفسير السيوطي ، وذكره ابن كثير في تفسيره جـ٢ ص٤٣٢ عن قتادة وقال وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري .

قال سبحانه : ﴿ **بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ** ﴾ (١) وذكر فيه أنه معلم مجنون ﴿ **إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**﴾ (٢)، ورد افتراءاتهم فقال : ﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ** ﴾ (٣) .

وتفصيل هذا القول هو :

إما أن الوحي من قبيل رؤى النائم فهو مردود : بيقظة النبي ﷺ المستديمة منذ نزول الوحي عليه ورواية الصحيحين - البخاري ومسلم- قاطعة في أن الوحي فاجأه وهو يقظان متأمل في الوجود وخالقه فقال له اقرأ ويعصره حتى يبلغ منه الجهد ثلاثا ، وبعدها يذهب إلى خديجة زوجته مرتعبًا يرجف فؤاده يقول : زملوني زملوني فاخبرها بالخبر .

وهذا يدل على أن الوحي لو كان مناما لزال خوفه ورعبه في اليقظة ويرد على هذا الزعم أيضاً ما تقدم من الظواهر التي تبدو على الرسول ﷺ عند الوحي والعتاب والتهديد وغيرها التي تقطع بأن الوحي لم يكن مناماً بل هو حقيقة لا يمكن تجاهلها .

أما كون الوحي من افتراءات الكاذب فهو مردود : بشهادة العرب له قبل النبوة حتى سموه بالصادق الأمين وكانوا يأتمنونه على أموالهم الغالية ، وكذلك بعد النبوة بشهادة العرب جميعاً من أعدائه وأنصاره

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ٥ .

(٢) سورة الشعراء الآية : ٢٧ .

(٣) سورة القلم الآيتان : ١ ، ٢ .

يدلنا على هذا سؤال هرقل ملك الروم لأبي سفيان عن النبي ﷺ كما ورد في صحيح البخاري (قال – أي هرقل – فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت – أي أبو سفيان – لا ...

وحين أتم هرقل أسئلته لأبي سفيان ، قال مجيباً عن كل سؤال وجهه إليه : وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرت أن لا ؛ فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله) .

وما جاء به القرآن الكريم من أخبار ماضيه ومستقبله وتشريعات نيرة صالحة لكل زمان ومكان بشهادة كل ذي لب . كل ذلك يدل على أن ذلك لا يصدر من كاذب .

أما كونه من أخيلة الشعراء فهو مردود : بما يظهر من احتقان ورعب عند الوحي وهذا لا يظهر على الشاعر إن أراد نظم شعره ، ولأن المعجزة الكبرى التي جاء بها الرسول ﷺ هي القرآن الكريم في أسلوبه وتشريعاته وأخباره .. والعرب في وقتهم أرباب الفصاحة والبلاغة بهروا وتحيروا فيه حين سمعوا آياته تتلى كما أن القرآن تحداهم بأن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك .

أما أن الوحي قد صدر من مجنون فترده : حالة النبي ﷺ عند تلقي الوحي كل مرة كمال الوعي ووفرة النشاط وقوة الأعصاب ، وقوله ﷺ لخديجة « زملوني » لا يفيد أكثر من لجوئه إلى الفراش ليستريح بعد المنظر الرهيب الذي رآه .

ولذلك يأمره بالقيام بانذار الناس ﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ ... ﴾ كما أن المجنون لا يمكنه أن يأتي بهذه الشريعة المتكاملة لجميع جوانب الحياة التي لا يكون مصدرها إلا العقل الكامل النير المبين .

وإذا قيل : إن احتقان الوجه والشحوب يمكن أن يفسر بأنه من أعراض التشنج يرد : بأن التشنج يحدث شللا وتغاشيا عند الفرد المحروم مؤقتاً من قواه العقلية والجسمية ، لكن أقوال النبي ﷺ حين ينزل عليه الوحي تشهد أن الوجه هو وحده الذي يتغير، بينا يتمتع هو بحالة عادية وحرية عقلية بحيث يستخدم ذاكرته استخداماً كاملاً خلال الوحي في حين يمحي وعي المتشنج وذاكرته خلال تشنجه .

ثم إن تلك الأعراض الجسمية التي تظهر على النبي ﷺ حين نزول الوحي لاتظهر عليه إلا في تلك اللحظة الخاطفة للوحي والحالة المرضية لا يرافقها تصبب عرق ولا يرافقها ظهور نص قرآني معجز في حد ذاته وقد يكون سورة طويلة كسورة الأنعام أو يكون نصاً فيه تشريع دقيق كنص المواريث الذي يعتبر من أدق النصوص التشريعية في العالم .

ويذهب بعض المستشرقين إلى أن النبي ﷺ كان مصابا ببعض الأمراض العقلية النفسية التي أثرت عليه تأثيراً بالغاً ونتج من تلك الآثار ما ادعى أنه وحي من الله، قال جولدزيهر: " وفي خلال النصف الأول من حياته اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكارًا أخذ يجتريها في قرارة نفسه وهو منطو في تأملاته أثناء عزلته ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة والتي يلمح فيها أثر حالته

المرضية ، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين " [١] .

ولكن ما حقيقة هذه الأمراض وما نوعيتها ؟

يجيب على ذلك عدد من المستشرقين مع تباين تشخيصاتهم ، زعم الويز شبرنجر[٢]، وجوستاف فايل [٣] وغيرهم أنه كان مصاباً بحالات من الصرع يغيب فيها عن الناس وعما حوله ويظل ملقى على أثرها بين الجبال لمدة طويلة يسمع له على أثرها غطيط كغطيط النائم ويتصبب عرقاً ويثقل جسمه[٤]. وتعتريه التشنجات وتخرج منه الرغوة فإذا أفاق ذكر أنه أوحي إليه وتلا على أتباعه ما يزعم أنه وحي من الله [٥] .

وبعضهم اعتبرها حالة هستيريا وتهيجا عصبياً يظهر عليه أثرها في مزاحه العصبي القلق ونفسه كثيرة العواصف بشكل غامض حتى كان يصل به الأمر أن لا يفرق بين تعاقب الليل والنهار وقد هزل على أثرها جسمه وشحب لونه وخارت قواه [٦] .

---

(١) جولدزيهر – العقيدة والشريعة ص٧ .

(٢) الويز شبرنجر هو ابن كرستوفر شبرنجر مستشرق نمسوي يجيد كثيرا من اللغات وله إلمام بالأدب الشرقي ، مات سنة ١٨٩٣م ، من آثاره حياة محمد [انظر الأعلام جـ٢ ص٨ ، المستشرقون جـ٢ ص٦٣١ – ٦٣٢] .

(٣) جوستاف فايل : مستشرق ألماني له كتاب مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن ، مات سنة ١٨٨٩م [انظر أراء المستشرقين جـ١ ص٢٢٩] .

(٤) آراء المستشرقين حول القرآن جـ١ ص٣٩٨ .

(٥) الإسلام والمستشرقون ص٢٠٢ .

(٦) أراء المستشرقين حول القرآن جـ١ ص٣٩٨ نقلاً عن مقدمة القرآن لمونتجمري وات ص١٧ – ١٨ ، ومقدمة القرآن ليل ص٢٩ – ٣٠ .

ويذهب المفكر الفرنسي جوستاف لبون إلى أنه نوع من الهوس[١] فيقول : " وترى محمدًا الثاقب النظر من الناحية العلمية من ذوي الهوس كما هو شأن أكثر مؤسسي الديانات وليس في ذلك ما يحط من قدره فلم يكن ذوو المزاج البارد من المفكرين هم الذين أنشأوا الديانات وقادوا الناس وإنما أولوا الهوس هم الذين أقاموا الأديان وهدموا الدول وآثاروا الجموع وذللوا الصعاب ولو كان القصد لا الهوس هو الذي يسود العالم لكان للتاريخ مجرى آخر " [٢] .

وزعم نولدكه[٣] بأنه نوبات انفعالية طاغية ، حيث يقول: " وكانت نبوة محمد نابغة من الخيالات المتهيجة والإلهامات المباشرة للحس أكثر من أن تأتي من التفكير النابع من العقل الناضج ، فلولا ذكاؤه الكبير لما استطاع الارتقاء على خصومه .. مع هذا كان يعتقد أن مشاعره الداخلية قادمة من الله بدون مناقشة [٤] .

والرد على هذه المغالطات فيما يأتي :

عن هذا القول نشأ من التصور الخاطئ والفهم السقيم لحقيقة الوحي والنبوة والعجز التام عن معرفة العلاقة التي تربط بين جبريل الملك

---

(١) الهوس بالتحريك طرف من الجنون ويرادفه المس . القاموس المحيط ص٥٧١ .

(٢) حضارة العرب ص١٢٦ - ١٢٧ .

(٣) نولدكه هو تيودر نولدكه شيخ المستشرقين الألمان وكانت له مكانة بين المستشرقين عامة يحسن اللغات الشرقية ، مات سنة ١٩٤٠م . من آثاره : تاريخ القرآن ، حياة النبي محمد [انظر الأعلام جـ٢ ص٩٦ ، أراء المستشرقين حول القرآن جـ١ ص١٨٥] .

(٤) أراء المستشرقين حول القرآن جـ١ ص٣٨٧ نقلاً عن تاريخ القرآن لنولدكه جـ١ ص٥

ومحمد النبي – عليهما السلام – وما يظهر من آثار على النبي ﷺ من تلك العلاقة [١] .

فتلك ظاهرة لا تخضع للعلوم التجريبية والتحليلات النفسية ، أو الاستنتاجات العقلية لعجز البشر عن إدراك كنهها وحقيقتها .

يقول بعض الباحثين : (فوصف ظاهرة الوحي الإلهي وما كان يعتري النبي عند تلقيه من حالة خاصة ناشئة عن إنسلاخه من البشرية الجسمانية ، واتصاله بالملكية الروحانية بالهوس أو الصرع أو نحو ذلك من الانحرافات النفسية على ضوء التحليل النفسي جهل خطير بحقيقة النبوة ، وهل يكفي لصنف من العلوم أن يصل إلى حد من الدقة والتطور بحيث تفرض طريقته في البحث على الميادين الأخرى وينتصب معيارًا ؟ إن تطور منهج من المناهج العلمية لا يعطي كمعيار خارج ميدانه [٢] .

إن المستشرقين كالببغاوات يرددون شبه أخوانهم أعداء الأنبياء والرسل الذين جعلوا ما يحصل لأنبياء الله مثل الذي يحصل للمجانين والسحرة ، كما قال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** ﴾ [٣].

وهي عين الفرية التي رمت بها قريش رسول الله ﷺ فبرأه الله مما قالوا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا**

---

(١) الإسلام والمستشرقون ص٢٢٩ ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية جـ١ ص٢٨ .

(٢) مناهج المستشرقين في الدراسات اعربية والإسلامية جـ١ ص٢٨ – ٢٩ التهامي نقرة .

(٣) سورة الذاريات الآيات : ٥٢ – ٥٣ .

مَجْنُونٍ ﴾ (١) .

وقد ضلوا بذلك وانحرفوا عن الحق فمثلهم كمثل من ضل الطريق وتشعبت عليه السبل فيأخذ يمينا وشمالاً ولا يهتدي أبدًا كما قال سبحانه ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ (٢) .

يقول ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾(٣).

يقول : (يقول الله تعالى مخاطباً لمن زعم من المشركين أن ما جاء به الرسول ﷺ ليس بحق وأنه شئ افتعله من تلقاء نفسه أو أنه أتاه به بريٌ من الجان فنزه الله سبحانه جناب رسوله عن قولهم وافترائهم ونبه أن ما جاء به إنما هو من عند الله وأن تنزيله ووحيه نزل به ملك كريم أمين عظيم وأنه ليس من قبل الشياطين وإنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة (٤) .

أرأيت كيف يردد المستشرقون شبهة عفا عنها الدهر وطوتها السنون وبين الله فسادها قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ، ثم جاءوا يلوكونها ويدندنون بها تشويهاً للإسلام وتشكيكا في نبيه ﷺ (٥) .

وهل يا ترى يغيب الفرق بين العاقل والذي اختل عقله ؟

---

(١) سورة الطور الآية : ٢٩ .

(٢) سورة الفرقان الآية : ٩ .

(٣) سورة الشعراء الآيات : ٢٢١ – ٢٢٣ .

(٤) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص٣٥٢ – ٣٥٣ .

(٥) نبوة محمد ﷺ في القرآن ص٢٢٨ د. حسن عتر .

إن التسوية بينهما من التسوية بين الأضداد المختلفة التي يستحيل أن يختلط أمرها على عاقل إن الذي يجعل العاقل مجنونا كالذي يجعل المجنون عاقلا ، وهذا من أبطل الباطل ، فكيف يجعل النبي الذي هو أكمل البشر عقلاً مجنوناً سبحانك هذا بهتان عظيم (١) .

وهل يعقل أن تصدر كل هذه الشرائع السامية الرفيعة والتشريعات التي حلت أعتى مشاكل الحياة ، بل وهذا القرآن الذي أعجز عقلاء البشر عن رجل خولط عقله فلا يعي ما يقوله .

يقول بعض الباحثين : " ولو نظرت في الشريعة الإسلامية وما فيها من حكم ومواعظ وأحكام تشريعية سامية وأخلاق رفيعة لأثار فيك ذلك تساؤلاً هل يصدر كل ذلك التعقل والحكمة عن الجنون وإخلال المشاعر ؟ ومتى كان الجنون منبع الحكمة والفساد مصدر الخير ؟ ثم انظر في سيرة سيد الخلق محمد ﷺ هل تراه كان مبتلى بالغفلة والبلاهة فيتراءى له ما يتراءى ؟ تراه بنى مجتمعاً قوياً على دعائم وطيدة وقاد معارك النصر والظفر وأسس دولة منيفة منحتها قوة للإتساع بعده من جبال الصين شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً ؟

إن محمدًا وكافة الرسل قبله قد اشتهروا بالتعقل والنباهة والفطنة قبل النبوة وبعدها يعترف لهم بهذا أتباعهم وأعداؤهم على السواء ، وهنا نتيقن أن مثله في نباهته ويقظته وذكائه لا تختلط عليه الأمور ولا تقبله الأوهام والهواجس (٢) .

---

(١) شيخ الإسلام – كتاب النبوات ص٣٦ .

(٢) حسن عتر – نبوة محمد في القرآن ص٢٢٧ .

لقد كان ﷺ أكمل الرجال عقلاً وأشدهم فطنة وأصوبهم قولاً وأحكمهم فعلاً وقد تحدى الله المشركين الذين عرفوه وعايشوه وخبروا حاله أن يثبتوا عليه جنونا أو اختلال عقل، وذلك في قوله ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** ﴾ (١) .

يقول ابن كثير – رحمه الله – : " يقول الله تعالى يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون ﴿ **إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ** ﴾ أي إنما آمركم بواحدة وهي ﴿ **أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ** ﴾ أي تقوموا قياماً خالصاً لله ﷻ من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضاً هل بمحمد من جنون، فينصح بعضكم بعضاً ﴿ **ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا** ﴾ أي ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر في ذلك (٢) .

وأما زعمهم بأنه مصاب بالصرع فهذا زعم باطل وخطأ علمي فاحش، فإن أعراض الصرع تختلف كل الاختلاف عما كان يعتري النبي ﷺ عندما يأتيه الوحي ، فالصرع مرض مصحوب باصفرار الوجه وبرودة في الأطراف واصطكاك في الأسنان ويتعطل تفكير المصروع وإدراكه تماماً ويدخل في غيبوبة كاملا فلا يدري أثناء نوبته ما يدور

---

(١) سورة سبأ الآية : ٤٦ .

(٢) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص٥٤٣ .

حوله وتعتريه تشنجات وينسى ما حدث له خلال ذلك نسياناً تاماً .

وهذا بخلاف أمره ﷺ فلا يظهر عليه شئ مما ذكر من أعراض هذا المرض عند نزول الوحي عليه ، بل يظل في تمام وعيه وكامل قوته العقلية قبل وأثناء وبعد الوحي كما قال في حديثه : ((فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال)) (١) .

وقد كان جبريل عليه السلام يأتي إلى النبي ﷺ في صورة الرجل فيحادثه أمام جمع من الحضور وهم يشاهدون ذلك ، كما ثبت ذلك من حديث عمر (٢) وعائشة (٣) رضي الله عنهما .

لقد عاش النبي ﷺ طيلة حياته في صحة نفسية وعصبية وعقلية دائمة لم يطرأ عليه أي خلل في عقله أو أعصابه في يوم من الأيام ، بل كان كمال عقله مضرب الأمثال وليس أدل على انتفاء هذه الفرية وبطلانها من كفاحه المرير في سبيل نشر دعوته ومن سياسته الحكيمة وخططه الحربية وتنظيماته الاجتماعية ، فلو كان مصاباً بالانهيار العصبي كما يزعمون فهل يقوى على مثل هذا النضال الطويل ، وهل

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيح من حديث عائشة رضي الله عنها – كتاب بدء الوحي .. وأخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الفضائل . فيفصم : أي يقلع ، والفصم هو أن يتصدع الشئ فلا يبين . النهاية جـ٣ ص٤٥٢ .
انظر آراء المستشرقين حول القرآن جـ١ ص٤٠١ ، محمد ﷺ في كتابات المستشرقين ص١١٣ ، ١١٤ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب الإيمان .

(٣) رواه البخاري .

يؤثر عنه تلك السياسة البارعة والتنظيمات الدقيقة ؟ [١]

يقول بعض الباحثين : " أمجنون مصروع يبني دولة وينشأ نظاماً ويقيم ديناً ويعيش في أجيال الناس منذ قام إلى اليوم دون أن يصاب بنكسة أو خلل ؟ أمجنون مصروع يثبت لهذه العواصف العاتية المزمجرة وحيدًا في وجه أمة صحراوية النفوس صخرية الطباع ، ثم لا يكون منه في حال من الأحوال تخاذل أو ضعف حتى يحول هذه العواصف إلى أنسام عليلة وريح رخاء [٢] .

قال المستشرق ماكس مايرهوف [٣] :

" أراد بعضهم أن يرى محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبي أو بداء الصرع ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره ليس فيه شئ يدل على هذا ، كما أن ما قام به فيما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول " [٤] .

وأما زعمهم بأنه مصاب بمرض الهستيريا وهو مرض عصبي عضال وراثي يكثر في النساء من أعراضه شذوذ في الخلق وضيق في التنفس

---

(١) الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٤٥ .

(٢) عبد الكريم الخطيب – النبي محمد ص١٣٩ .

(٣) مستشرق ألماني من كبار أطباء العيون العالميين وفي طليعة مؤرخي الطب العربي سكن مصر وانتخب نائباً لرئيس المعهد المصري والجمعية الطبية ، توفى بالقاهرة سنة ١٩٤٥م . من آثاره : شرح أسماء العقار [انظر الأعلام جـ٥ ص٢٥٦ – ٢٥٧ ، المستشرقين جـ٢ ص٧٦٦ ، المستشرقون الألمان ص١٤١ – ١٤٤ .

(٤) الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٥٥ نقلاً عن الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب ص١٦٢ ، والقرآن والمستشرقون ص٢٦ – ٢٧ .

والصدر واضطراب في الهضم، وقد يحدث اضطرابا في اليدين والرجلين إلى حد الشلل في بعض أعضاء المريض، فإذا تقدم المرض وصل إلى حالة من التشنج يسبقها بكاء وهذيان وقد يصل إلى حد الإغماء وقد يستمر الحال بالمريض حتى يرى أشباحاً وأعداءً تحاربه وتقاتله ويسمع أصواتاً لا حقيقة لها فيتحرك حركات مضطربة ويقفز مكان إلى آخر بصورة مرعبة (١) ، فهذا الزعم لا يستند إلى الحقيقة بأي وجه من الوجوه .

إن المستشرقين لم يجدوا ما يتشبسون به من مطاعن حول نبي الإسلام ﷺ فراحوا يهرفون بما لا يعقلون وينعقون بما لا يدرون ، فكانت مزاعمهم أضحوكة للولدان يعرف فسادها كل من وقف عليها إلا من طمس الله بصيرته فلا يعي ولا يفقه ﴿ ... **وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا** ﴾ (٢) .

إن واقع الرسول ﷺ وحاله يشهد ببطلان ذلك وبراءته عنه ، فهو صاحب الطبع الرصين والنفس الهادئة والخلق الحسن، وكان ﷺ صبورًا عند الغضب حليما عند المقدرة وكيف لا يكون كذلك وهو الذي قالت عنه عائشة ﵂ عندما سئلت عن خلقه فقالت : (فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن) (٣) .

وفي حديث معاوية بن الحكم السلمي عندما تكلم في الصلاة قال : " فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ! ما رأيت معلماً قبله ولا

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن ص٤٠٢ – ٤٠٣ .

(٢) سورة الكهف الآية : ١٧ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين جـ١ ص٥١٣ .

بعده أحسن تعليما منه فوالله ما كهرني [١] ولا ضربني ولا شتمني ، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شئ من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن [٢] .

فهل يعقل لمن اتصف بهذه الخصال الكريمة والسجايا الحميدة أن يكون مصاباً بمرض يحدث الرعب في قلب من يراه ؟

وأما زعم لبون أنه مصاب بالهوس، فالجواب عليه ما ذكره بعض الباحثين في رده عليه إذ يقول : أليس من مجازفة القول أن يعد لبون محمدًا ﷺ من المتهوسين ولم يثبت تاريخياً قبل البعثة ولا بعدها أنه كان من ذوي الوساوس أو السلوك الشاذ والتصرف الغريب أو نحو ذلك من الانحرافات النفسية التي لابد لها من انعكاسات وردود فعل ، ألم تشهد خديجة وتعرفه بحقيقته لما جاءه الحق وهو في غار حراء لتدفع عنه الخوف مما رأى وسمع ؟

كلا والله لا يخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيق وتعين على نوائب الحق، فما أبعد هذا الكمال الإنساني عن الهوس الذي قد يملي على صاحبه مواقف غريبة وأفعالاً ينبو عنها الذوق السليم !

ولكنه الجهل بحقيقة الدين واستعمال منهج النقد العلمي في موضوعه ويقول : (وهل الذين آمنوا به منذ أربعة عشر قرناً واتبعوا الدين الذي

---

(١) كهرني: أي نهرني . يقال كهره إذا زبره واستقبله بوجه عبوس . انظر الفائق جـ٣ ص٢٨٨ ، النهاية جـ٤ ص٢١٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب المساجد جـ١ ص٣٨١ – ٣٨٢ .

جاء به من قادة الفكر على امتداد العصور – كلهم أغبياء مغرورون لم يميزوا بين الحق والباطل والصدق والكذب ؟ والعلم وحده لا يستطيع أن يقدم تفسيرًا مقنعاً لهذا التحول الجذري ببعثة محمد ﷺ إلا على ضوء الإيمان بما تضمنه هذا الوحي السماوي الذي ظل يقودها على ما يزيد من عشرين عاماً ولم يخلف ما وعده ولا كذبه فيما أخبر به من أنباء الغيب ، وأي فرق بين تقولات المشركين في الجاهلية وتفسيرهم لظاهرة الوحي عندما ينزل على الرسول وما يناله عند التلقي من جهد وعناء بالجنون أو السحر تارة وبالشعر أو الكهانة تارة أخرى ، وبين تفسير المستشرقين الأكاديميين للوحي من الوجهة النفسية أو العقل الباطن أو نحو ذلك مما اخترعوه وانتحلوه كالهوس الذي يزعمه لبون [١] .

وكونه مصاباً بنوبات انفعالية تطغي عليه وتسيطر عليه كما يدعو (نولدكه) فتلك شبهة لا تخرج عما ذكره في شأن الوحي النفسي، فليس هناك انفعالات ولا هيجان أحاسيس عند نزول الوحي عليه ﷺ ، بل يكون في قمة الهدوء وسلامة الأعصاب ورزانة الطبع لا كما يقول (نولدكه) [٢] .

شبهه : الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية

لقد زعم المستشرقون أن الوحي انبثق عن اليهودية والنصرانية، لكن محمدًا كيفه تكيفاً بارعاً وفقا لمتطلبات شعبه الدينية [٣] .

---

(١) التهامي نقرة – مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية جـ١ ص٢٩-٣٠ .

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن جـ١ ص٣٨٩ .

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية ص٦٩ لبروكلمان .

ويقرر جولدزيهر كيف تم ذلك، فيقول : " فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف آراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرًا عميقاً والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه ، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في رأيه كذلك ضرورية لتثبيت ضرب من الحياة في الاتجاه الذي تريده الإرادة الإلهية .

لقد تأثر بهذه الأفكار تأثرًا وصل إلى أعماق نفسه وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية ، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً فأصبح بإخلاص – على يقين بأنه أداة لهذا الوحي (١) .

ويزعم فيليب حتى أن الإسلام برمته بدعة نصرانية أكثر منه ديناً جديدًا (٢) .

وقد ادعى بعض المستشرقين أن النبي ﷺ قد أخذ تعاليم الوحي عن بعض الشخصيات النصرانية .

فجولدزيهر يزعم أنه قد تتلمذ على رهبان النصارى وأحبار اليهود الذين كانوا أساتذة له (٣) .

قالوا : أن محمدًا لقى بحيرى(٤) ....

---

(١) العقيدة والشريعة ص٥ ، ٦ .

(٢) فيليب حتى – تاريخ العرب جـ١ ص١٧٦ .

(٣) العقيدة والشريعة – جولدزيهر ص١٣ ، ١٤ .

(٤) **بحيرى** : راهب قيل إنه كان يهوديا من يهود تيماء ، وقيل كان نصرانيا من عبد القيس يقال له جرجس، لقيه النبي ﷺ قبل البعثة [انظر البداية والنهاية جـ٢ ص٢٢٩-٢٣٠] .

في مدينة بصرى[١] وكان نسطوريا[٢] من أتباع آريوس[٣] في التوحيد وينكر ألوهية المسيح وعقيدة التثليث [٤] وكان عالما فلكيا منجما وحاسباً وساحرًا فتعلم منه محمد عقيدته ، بل زعم بعضهم أنه كان مصاحباً له بعد رسالته وأن محمدًا ما حرم الخمر إلا لأنه قتل أستاذه بحيرى وهو سكران [٥] .

ويرد عليه بما يأتي :

أن الراهب بحيرى لقى النبي ﷺ مع عمه أبي طالب ومعشر من

---

(١) **بصرى** : موضع بالشام وهي التي وصل إليها النبي في رحلته مع عمه [انظر . معجم البلدان جـ١ ص٤٤١] .

(٢) **نسطور**: هو بطريرك الأسكندرية سنة ٤٣١م وهو الذي قال بأن مريم لم تلد إلا الإنسان فهي بذلك أم الإنسان وليست أماً لإله وأتباعه هم النساطرة ومذهبهم وضع الأساس للمقول بطبيعتين في المسيح – الملل والنحل جـ١ ص٢٢٤ .

(٣) **أريوس** : كان قسيساً بالأسكندرية وكان في زمن قسطنطين الأول وهو القائل بأن الله واحد سماه اباً وأن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء وهو مخلوق قبل خلق العالم وهو خالق الأشياء وزعم أن لله روحاً مخلوقة أكبر من سائر الأرواح وأنها واسطة بين الأب والابن تؤدي إليه الوحي وقد تبرأ منه النصارى لمخالفته لهم في مذهب التثليث [انظر الملل والنحل للشهرستاني جـ١ ص٢٢٧-٢٢٨، الموسوعة الميسرة ص٥٠٢] .

(٤) عقيدة التثليث وهي الركن الأول الذي يبني عليه النصارى عقائدهم ومع اختلاف مللهم إلا أنهم مجمعون على التثليث وهو اعتقاد وجود ثلاثة آلهة وهي الأب (الله) والابن (عيسى) وروح القدس (جبريل) أو هي الأب والابن ومريم ويقررون ذلك بما يسمى الأقانيم الثلاثة والأقنوم يطلق على الجوهر والأصل والشخص ويفسرونه بأنه وحدانية في تثليث وتثليث في وحدانية وبين فرق النصارى اختلاف شديد في تقرير ذلك [انظر تحفة الأريب في الرد على الصليب ص١٥٥ – ١٥٦ عبد الله بن الترجمان الموسوعة الميسرة ص٥٠٣ – ٥٠٤ .

(٥) الوحي المحمدي ص٩٥ – ٩٦ .

قريش في رحلتهما إلى الشام مرة واحدة فقط وكان عمر النبي ﷺ تسع سنين ، وقيل اثنتى عشرة سنة ، وكان الراهب بحيرًا قد رأى في صومعته في رؤياه أن رسول الله ﷺ قد جاء في ركب وقد أظلته غمامة وصنع طعاماً لمعشر قريش وكان سابقاً لا يلتفت إليهم وهو يمرون به ودعاهم إليه فتخلف رسول الله ﷺ لحداثة سنة ، فقال الراهب لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي فأخبروه بتخلف الغلام – أي النبي ﷺ – فأتوا به وكان يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده وبعد فراغهم من الطعام دعا به واستحلفه باللات والعزى لأنه سمع قومه يحلفون بهما فقال له : لا تسألني باللات والعزى، فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما ، فقال له بحيرى فبالله ألا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، فقال له سلني ما بدا لك وأخذ يسأله عن حاله في نومه وهيئته وأموره ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ، ثم نظر إلى ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه فسأل عمه عن أبيه ، فقال له : ابني ، فقال له : ما ينبغي أن يكون أبوه حيا ، فأجابه : إنه ابن أخي فقال له أخيرًا : ارجع به إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فإنه كائن لابن لأخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلاده [١]، وللقصة غير تلك الرواية .

---

(١) سيرة ابن هشام – قصة بحيرى الراهب ص١١٠ – ١١٢ .
ومن رواها الحاكم في مستدركه جـ٢ ص٦١٥ – ٦١٦ لكن علق الذهبي عليه بقوله : ظنه مرفوعا فبعضه باطل . رواها الترمذي في صحيحه [انظر بشرح عارضة الأحوذي جـ١٣ ص١٠٦ وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه واستقصى طرق وروايات هذه القصة الحافظ بن كثير في السيرة النبوية جـ١ ص٣٤٣] .
==

وليس في جميع الروايات ما يفيد أنه ﷺ سمع شيئا من بحيرى عن عقيدته ودينه .

كما أن هذه الرحلة القصيرة – وهو صغير ووجود عمه معه حين التقى ببحيرى – كل ذلك لا يعلّم النبي التشريع ولا يعطيه مفاتيح الغيب، لكن قول بحيرى يؤكد نبوة محمد ﷺ حين سأله عن أحواله المختلفة فيوافق ما عند بحيرى من هيئات النبي الذي بشر به عيسى وموسى فتنبا أن يكون له شأن عظيم، وقد دفع شبهة المستشرقين الشيخ الزرقاني قال ردًا عليهم: " يقولون إن محمدًا ﷺ لقى بحيرى فأخذ عنه وتعلم منه .. وندفع هذا :

أولاً : بأنها دعوى مجردة عن الدليل خالية من التحديد والتعيين ومثل هذه الدعاوي لا تقبل ما دامت غير مدللة وإلا فليخبرونا ما الذي سمعه محمد من بحيرى الراهب ؟ ومتى كان ذلك وأين كان ؟

ثانياً : أن التاريخ لا يعرف أكثر من أنه ﷺ سافر إلى الشام في تجارة مرتين مرة في طفولته ومرة في شبابه ولم يسافر غير هاتين المرتين ولم يجاوز سوق بصرى فيهما ولم يسمع من بحيرى ولا من غيره شيئا من الدين ولم يك أمره سرًا هنالك ، بل كان معه شاهد في المرة الأولى وهو عمه أبو طالب وشاهد في الثانية وهو ميسرة غلام خديجة التي خرج الرسول بتجارتها أيامئذ .

== وقال بعد ذلك وعلى كل تقدير فهو مرسل ؛ فإن هذه القصة كانت ولرسول الله ﷺ فيما ذكر بعضهم اثنتا عشرة سنة ، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي ﷺ فيكون ابلغ أو من بعض كبار الصحابة أو كان هذا مشهورا مذكورا أخذه من طريق الاستفاضة .

وكل ما هنالك أن بحيرى الراهب رأى سحابة تظلله ﷺ من الشمس فذكر لعمه أن سيكون لهذا الغلام شأن ثم حذره من اليهود وقد رجع به عمه خوفاً عليه ولم يتم رحلته .

كذلك روى هذا الحادث من طرق في بعض أسانيدها ضعف ورواية الترمذي ليس فيها اسم بحيرى وليس في شئ من الروايات أنه ﷺ أنه سمع من بحيرى أو تلقى منه درساً واحدًا أو كلمة واحدة لا في العقائد ولا في العبادات ولا في المعاملات ولا في الأخلاق فأنى يؤفكون ؟

ثالثاً : أن تلك الروايات التاريخية نفسها تحيل أن يقف هذا الراهب موقف المعلم المرشد لمحمد ﷺ لأنه بشره أو بشر عمه بنبوته وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التي يزفها ثم ينصب نفسه أستاذًا لصاحبها الذي سيأخذ عن الله ويتلقى عن جبريل ويكون هو أستاذ الأستاذين وهادي الهداة والمرشدين ! وإلا كان هذا الراهب متناقضاً مع نفسه .

رابعاً : أن بحيرى لو كان مصدر هذا الفيض الإسلامي لمعجز لكان هو أحرى بالنبوة والرسالة والانتداب لهذا الأمر العظيم .

خامساً : أنه يستحيل في مجرى العادة أن يتم إنسان على وجه الأرض تعليمه وثقافته ، ثم ينضج النضج الخارق للمعهود فيما تعلم وتثقف بحيث يصبح أستاذ العالم كله لمجرد أنه لقى مصادفة واتفاقاً راهباً من الرهبان مرتين . على أن هذا التليمذ كان في كلتا المرتين مشتغلا عن التعليم بالتجارة وكان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة

وكان صغيرًا تابعاً لعمه في المرة الأولى وكان حاملاً لأمانة ثقيلة في عنقه لابد أن يؤديها كاملة في المرة الثانية ، وهي أمانة العمل والاخلاص في مال خديجة وتجارتها .

سادساً : أن طبيعة الدين الذي ينتمي إليه بحيرى تأبى أن تكون مصدرًا للقرآن وهدايته خصوصاً بعد أن أصابه من تحريف وتغيير .

سابعاً : أن هذه التهمة لو كان لها نصيب من الصحة لفرح بها قومه وقاموا لها وقعدوا لأنهم كانوا أعرف الناس برسول الله وكانوا أحرص الناس على تبهيته واحباط دعوته بأية وسيلة (١) .

يتبين مما سبق أن لقاءه بحيرى كان في وقت وجيز وكان لقاء سريعاً لا يكفي لحمل هذا العلم الذي نثره النبي ﷺ في مدة ثلاثة وعشرين عاماً، وقد كان ﷺ في سن التاسعة أو الثانية عشرة من عمره وهذه سن لا تؤهله لحمل واستيعاب كثير من المسائل وعمه ما كان يفارقه طرفة عين ولم ينفرد به بحيرى ليلقنه ذلك الدرس المزعوم .

ومع أن هذه الحادثة ليس لها كبير أهمية إلا أن أعداء الإسلام من المستشرقين يتشبسون بها ويركزون عليها ولا حجة لهم في ذلك (٢) .

شبهة الادعاء بأنه أخذ من ورقة بن نوفل :

فإن الثابت في الصحيح: أن خديجة –رضي الله عنها – انطلقت بالنبي عليه السلام وذلك بعد أن جاء جبريل عليه السلام في حراء – إلى ورقة بن نوفل

---

(١) الشيخ الزرقاني – مناهل العرفان جـ٢ ص٤٢١ – ٤٢٣ .

(٢) الإسلام والمستشرقون ص٢٢٨ .

ابن أسد ابن عمها وكان امرءاً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرًا قد عمى فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ بخبر ما رأى فقال له ورقة : هذا الناموس – أي أمين الوحي جبريل – الذي نزل على موسى ياليتني فيها جذعا – أي شاباً – ليتني أكون حياً ، إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وأن يدركني يومك انصرك نصرا مؤزراً ثم لم ينشب – أي لم يلبث – ورقة أن توفى[1] .

فورقة لم يلتق بالنبي وحده – كما ورد بالصحيح – بل كانت معه خديجة ثم إن ورقة علم بمقارنة ما جرى للنبي ﷺ بما وقع لموسى وعيسى، فقال له هذا الناموس – أي أمين الوحي جبريل – لأن الوحي واحد لكل الأنبياء وتوقع إخراجه حين يدعوهم وتمنى نصره آنئذ ، كل هذا يدل على أن الوحي الذي نزل عليه وعلى الأنبياء قبله هو من عند الله الذي علمه وألهمه وهداه فليس لورقة من ذلك شئ سوى التصديق بأنه سيكون رسول الناس ، فكيف يكون مصدر علم النبي ﷺ ؟

وبهذا يظهر تهافت كلام المستشرقين وعلى رأسهم وات الذي قال (من الأفضل الافتراض بأن محمدًا كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة وقد تاثرت التعاليم الإسلامية

---

(١) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ، ومسلم في كتاب الإيمان . انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص٣٢ .

اللاحقة كثيرًا بأفكار ورقة) (١) .

ويمكن أن نبين بطلان هذا القول وفساده في النقاط التالية :

١) تبين الرواية أن ورقة كان قد تنصر في الجاهلية ولكن المحدثين والمؤرخين استقصوا كل ما عرف عنه مم صح سنده ومما لم يصح فلم يعثروا على رواية تبين أنه كان داعية إلى النصرانية (٢) .

٢) لم ينقل أن النبي ﷺ قد لقي ورقة قبل هذا اللقاء أو رآه (٣) .

٣) لقد تم هذا اللقاء بعد مجئ ملك الوحي في المرة الأولى وقد حضرت اللقاء خديجة – رضي الله عنها – وشهدته وقد آمنت بنبوة محمد ﷺ بعد ذلك فلو كان هنالك تعلم وتلقى ما غاب ذلك عن بالها أبدا (٤) .

٤) أن موقف ورقة من ذلك الأمر كان موقف المستطلع المستخبر لا موقف المعلم فلما أخبره النبي ﷺ خبر ما رأى كان موقفه موقف المبشر المصدق المؤمن المتطوع لمناصرة الحق المؤيد للنبي ﷺ، فموقف هذا شأن صاحبه لا يمكن أن يكون هذا الصاحب مصدر علم الوحي الذي شرف به رسول الله ﷺ (٥) .

---

(١) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية جـ١ ص٣٧ – ٣٨ .

(٢) الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٢٢ ، الوحي المحمدي ص٩٦ ، نبوة محمد ﷺ في القرآن ص٢١٧ .

(٣) الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٢٣ .

(٤) الأدلة المحمدية على صدق النبوة المحمدية ص٤٢٣، نبوة محمد ﷺ في القرآن ص٢١٨.

(٥) الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٢٣ .

٥) لم تذكر الروايات أنه ألقى إلى النبي ﷺ درساً أو عظة في أي جزء من جزئيات الإسلام ولم يثبت أنه كان ﷺ يتردد عليه لتلقي تلك الدروس والذي يفهم من كلمته المختصرة أنه كان يتمنى أن يبقى حتى يصبح ناصرًا لدين الله وجنديا مخلصا وتلميذًا ناجحاً للنبي ﷺ لا أستاذاً مربياً ولا عالماً معلماً (١) .

٦) لقد مات ورقة مبكرًا ولم يمكث زمناً طويلاً فكيف كان هو سر نبوة رسول الله ﷺ ؟ (٢) ﴿ **قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾ (٣) .

٧) لو ثبت أنه ﷺ أخذ ذلك من ورقة لما سكت أعداؤه أبدًا ولروجوا ذلك وساروا به في الناس جميعاً وهم الذين تشبثوا بما هو أدهى من ذلك (٤) .

٨) لو كان ورقة هو الذي أعطى علوم النبوة للنبي ﷺ لكان هو أولى بالنبوة منه ﷺ .

٩) لو كان ورقة هو المعلم وقد كان معايشاً للنبي في مكة فلماذا انتظر إلى أن هرم وبلغ النبي من العمر أربعين .

إدعاؤهم أنه أخذ من الحاشية اليهودية والمسيحية المسلمة :

قال الحداد : " ونجد في المدينة في معية النبي حاشية مسيحية

---

(١) مناهل العرفان – الشيخ الزرقاني جـ٢ ص٤٢٨ .

(٢) الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٢٣ .

(٣) سورة النمل الآية : ٦٥ .

(٤) الإسلام والمستشرقون ص٢٢٨ .

ويهودية قد اسلمت سايرت الإسلام ، نجد بلالا الحبشي مؤذن النبي وصهيباً الرومي المسيحي الثري وسلمان الفارسي المسيحي الأصل وعبد الله بن سلام اليهودي الوحيد الذي أسلم في المدينة مع كعب الأحبار وهل كان حديث هذه الحاشية الكريمة سوى التوراة والإنجيل ؟

إن ذلك حجة قاطعة على أن بيئة النبي والقرآن كتابية من كل نواحيها ، وإن ثقافة محمد والقرآن كتابية في كل مظاهرها وذلك بمعزل عن الوحي والتنزيل (١) .

إن هذا إدعاء يعلم ببداهة العقول فساده فاغلب هؤلاء الذين ذكرهم الحداد لم يلتق بهم النبي ﷺ إلا بعد الهجرة ، وقد سبق عمر مديد من حياة النبوة ، وقد التقي بهم تابعين له لا متبوعين ومتعلمين منه لا معلمين ومؤمنين به ومصدقين لا مكذبين (٢)

يقول بعض الباحثين (إن ما يدعيه المستشرقون من إفادة الرسول من حاشيته اليهودية والمسيحية الذين أسلموا وكانوا في صحبته هو محض افتراض لأن إسلامهم حجة قائمة على صدق ما جاء به من الوحي الإلهي ولو تبين لهم أنه كان يتتلمذ لهم في خفاء ليتلقى عنهم ما كان يدعو إليه لانفضوا من حوله ولعادوا إلى دينهم ولم تكن لهم تلك المنزلة الرفيعة في الدعوة إلى الإسلام والذود عنه والإخلاص للرسول فإن ثباته في الشدائد والمحن ومثابرته على مغالبة الكبر والعناد أول

---

(١) مناهج مسمشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، ج١ ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) نُبوة محمد ﷺ في القرآن ص٢٢١ – ٢٢٢، والأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٢٦

برهان قدمه للإنسانية على مدار التاريخ يشهد بصحة نبوته وصدق رسالته [١] .

ومن الأدلة على بطلان مزاعم المستشرقين :

١ – لو تلقى ﷺ شيئا من أهل الكتاب لنقل ذلك اتباعه الذين كانوا أحرص الناس على نقل أخباره وآثاره ﷺ ولكنهم لم يفعلوا فعلم فساده [٢] .

٢ – لو ثبت ما ذكر لاتخذه أعداؤه من المشركين حجة لهم للنيل منه والطعن فيه وهم الذين تعلقوا بأوهي الشبه واضعفها، كزعمهم أنه تعلم وتلقاه من رومي حداد أعجمي ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ** ﴾ [٣] .

ولكان اليهود والنصارى أعرف الناس بهذا ولما سكتوا أبدا وهم الذين بذلوا كل ما يملكون من جهد للنيل من هذا الدين وإخماد أنفاسه ، وقد كانت هنالك علاقة تربطهم مع المشركين وقد التقوا سويًا في عداوتهم للنبي ﷺ فكيف صبروا على ذلك ؟ ولماذا لم يخبروا أصدقاءهم بهذا المطعن الخطير ؟ ولماذ لجاوا إلى عرض الأسئلة للتثبيت من نبوته وهم يعلمون أن دينه مأخوذ من دينهم ؟[٤] .

---

(١) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، جـ١ ص٢٥ .

(٢) الوحي المحمدي ، ص١٢٢ .

(٣) سورة النحل ، أية : ١٠٣ .

(٤) الإسلام والمستشرقون ، ص٢٠٦ .

إن الذي يريد أن ينقد أمرًا معينًا عليه قبل ذلك أن ينظر إلى ما يترتب على نقده من ملابسات ومعارضات حتي لا يصبح نقده نقدًا عليه وطعنه طعنًا فيه كهؤلاء المستشرقين الذين ينقدون نقدًا مكشوفا ويكذبون كذبًا واضحًا لا يخفي على من له أدني مسكة من عقل .

٣ - إن النبي ﷺ لم يثبت له أن رأى التوراة والإنجيل ولم يقرأ فيهما وهو الذي لا يعرف قراءة ولا كتابة [١]، ولم يثبت عنه أنه تلقي عن أحد من علماء اليهود أو النصارى أو غيرهم والذين لقيهم لم يتصل بهم صلة تمكنه من الأخذ عنهم [٢]، بل ونصوص القرآن صريحة في أنه لم يكن يعرف شيئا من أخبار الرسل وقصصهم قبل أن يأتيه الوحي قال له سبحانه وتعالى عقب قصة نوح عليه السلام **﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾** [٣] .

وقد شهد المتصفون من المستشرقين على صحة دعوانا ، قال المفكر الفرنسي الكونت هنري دي كاستري : (ولقد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي محمد من مطالعة التوراة والإنجيل - يعني بعثته - إذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث وهو مناقض لفطرته ومخالف لوجدانه عند

---

(١) الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ص ١٣٧ .
(٢) مناهج المستشرقون في الدراسات العربية الإسلامية جـ١ ص١٦٥ .
(٣) سورة هود الآية : ٤٩ .

خلقته ، فظهور هذا الاعتقاد في جزيرة العرب بواسطة محمد دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته كما أنه بذاته أكبر دليل على صدقه فى رسالته وأمانته في نبوته [١] .

٤ – لقد كشف الله بهذا الوحي الذي أنزله على الرسول ﷺ أسرار أهل الكتاب وفضحهم وهتك أستارهم وبين انحراف عقائدهم وناصبهم العداء وذمهم ذمًا منكرًا وذلك في آيات كثيرة منه قوله تعالى ﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [٢] .
وقال سبحانه : ﴿ **يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً** ﴾ [٣] .
فلو أنهم كانوا معلمين لهﷺ لمدحهم وجاملَهُمْ وتودد إليهم وتقرب منهم ولم يقف منهم هذا الموقف العدائي حتي لا يفضحوا أمــره ويكشفوا حاله [٤] .

٥ – إن أحكام الشريعة الإسلامية كانت تأتي على حسب الحوادث

---

(١) الإسلام والمستشرقون ص٣١٥ .
(٢) سورة البقرة الآية ٧٥ .
(٣) سورة النساء الآية : ١٧١ .
(٤) الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص٤٢٩ – ٤٣٠ .

والوقائع وكان ﷺ يبين عند كل أمر ما يحتاج إليه ويتوقف في بعض الأمور لينتظر الوحي وفي ذلك دلالة على أنه ﷺ لم يتلق علمًا سابقًا من أهل الكتاب أو غيرهم ويلزم من تلقيه أن يكون على صلة دائمة بهم .

إن يعلى بي أمية ﷺ كان يقول لعمر بن الخطاب ﷺ ليتني أري نبي الله ﷺ حين ينزل عليه، فلما كان النبي ﷺ بالجعرانة وعلى النبي ﷺ ثوب قد أظل به عليه معه ناس من أصحابه فيهم عمر إذ جاءه رجل عليه جبة صوف متضمخ بطيب ، فقال يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعدما تضمخ بطيب ؟ فنظر إليه النبي ﷺ ثم سكت فجاءه الوحي فأشار عمر بيده إلى يعلي بن أمية تعال . فجاء يعلي فأدخل رأسه فإذا النبي ﷺ محمر الوجه يغط ساعة ثم سرى عنه فقال أين الذين سألني عن العمرة آنفا ؟ فالتمس الرجل فجئ به فقال النبي ﷺ ، أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات وأما الجبة فانزعها ثم أضع في عمرتك ما تضع في حجك [1] .

٦ - ومن أوضح الأدلة وأجلاها على أن الرسول ﷺ لم يقتبس من اليهودية أو النصرانية وجود الخلاف في كثير من العقائد والأحكام بل جعل الشارع الحكيم جنس مخالفتهم أمرًا مقصودًا له ومن متطلبات الشرع وهنالك كثير من الأحكام جعلت العلة

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه كتاب الحج باب غسل الخلوق ثلاث مرات ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج .

فيها هي مخالفة اليهود أو النصارى [١] .

من ذلك قوله ﷺ : ((إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم)) [٢].

وقال ﷺ : ((خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم)) [٣].

عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعهن في البيوت ، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾[٤]. فقال رسول الله ﷺ : ((اصنعوا كل شئ إلا النكاح))، فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلاّ خالفنا فيه .. الحديث [٥] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود ، بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم حتى قالوا : ما يريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه) [٦] .

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم – ابن تيمية جـ١ ص١٧٣ – ١٧٧ .

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء ، وأخرجه مسلم كتاب اللباس والزينة جـ٣ .

(٣) أخرجه أبو داود .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٢٢ .

(٥) أخرجه مسلم – كتاب الحيض .

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم جـ١ ص١٨٧ .

فهذا إقرار من اليهود عليهم لعائن الله بمخالفة النبي ﷺ لما كانوا عليه من شعائر حتى اشتهر ذلك بينهم ألا يكفي ذلك برهاناً ساطعاً على بطلان قول المستشرقين أنه كيف شعائر الإسلام لتتفق مع شعائر اليهود ؟

أو لم يكفهم أنه ﷺ أخرج اليهود أذلاء حقيرين من المدينة وأجلاهم عنها لما نقضوا عهودهم معهم وأبى عليهم أن يساكنوه في بلد واحد (١) .

أما وقف المستشرقين على الايات والأحاديث العديدة الذامة لليهود والهاتكة لستورهم ؟ أفي ذلك أيضاً دلالة على أن النبي كان يتقرب منهم ويتزلف لهم بكسبهم وإرضائهم ؟ إن النبي ﷺ منذ أن بعث وحمل رسالة الإسلام نسخ الأديان السابقة وأبطل شرعيتها فلا نجاة لأحد من الخلق يهودياً كان أو نصرانياً إلا بالتزام شرعه والسير على نهجه وهو القائل ﷺ : ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)) (٢) .

فلا بقاء لدين مع دينه ﷺ ولا شريعة مع شريعته ، بل دينه هو الحاكم والمهيمن على كل الأديان . قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ

---

(١) روى البخاري ومسلم بسنديهما إلىابن عمر ﷺ قال حاريث النضير وقريظة فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاريث قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فأمنهم وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهود المدينة " هذا لفظ البخاري – كتاب المغازي ، وصحيح مسلم – كتاب الجهاد " .

(٢) أخرجه مسلم – كتاب الإيمان .

بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنْ الْحَقِّ .. ﴾ (١) .

واستدلالهم بصوم عاشوراء على موافقة اليهود فيه أمور تحتاج إلى إيضاح :

أولاً : جاءت الأحاديث تترى عن النبي ﷺ تأمر بصيام عاشوراء وكان مفروضاً في بادئ الأمر، فلما شرع صوم رمضان أصبح صيامه مستحباً وذلك لقول عائشة – رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر (٢) .

ثانياً : وردت بعض الأحاديث الصحيحة التي يمكن أن يؤخذ منها موافقته ﷺ لليهود . من ذلك : عن ابن عباس ﷺ قال : قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى ، قال : فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه (٣) .

وعلة الموافقة هي التي بني عليها المستشرقون شبهتهم السابقة .

والرد على ذلك :

١) لقد ثبت أن النبي ﷺ كان يصوم عاشوراء في الجاهلية قبل قدومه

---

(١) سورة المائدة الآية : ٤٨ .

(٢) أخرجه البخاري – كتاب الصوم – باب صوم يوم عاشوراء ، وأخرجه مسلم – كتاب الصيام .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الصوم .

المدينة .

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله ﷺ يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه (١) .

وفي رواية : (وكان يوم تستر فيه الكعبة) (٢) .

فدل بهذا على أنه ﷺ لم يصمه موافقة لليهود واقتداء بهم ، فيكون قوله في الحديث : ((فأنا أحق بموسى منكم)) توكيدًا لصومه ، وبيانا لليهود أن الذي يفعلونه من موافقة موسى نحن أيضاً نفعله فنكون أولى بموسى منكم (٣) .

٢) إن النبي ﷺ بين نوع مخالفة لليهود في صيام عاشوراء عندما شرع صيام يوم قبله أو بعد ، فعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ ((صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود صوموا قبله يوماً أو بعده يوماً)) (٤) .

وعنه قال : حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا : يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ : ((فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع !

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الصوم .

(٢) رواه البخاري – كتاب الحج .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم جـ١ ص٤١٣ – ٤١٤ ، فتح الباري جـ٤ ص٢٤٨ .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده جـ١ ص٢٤١ .

قال : فلم يأتي العام المقبل، حتى توفى رسول الله ﷺ)) [١] . فدل ذلك على مخالفته لهم في صيامه [٢] .

وأما زعمهم أن المؤمنين كانوا لا يصلون في مكة إلا مرتين في اليوم ، ثم أدخلت صلاة ثالثة عندما ذهبوا إلى المدينة على غرار اليهودية . فهو زعم أوهى من خيط العنكبوت إذ الصلوات الخمس فرضت بمكة ليلة الإسراء حين عرج بالنبي ﷺ إلى السماء ولا خلاف بين أهى العلم وأهل السير في ذلك [٣] .

وهذا الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة التي وردت في صفة الإسراء والمعراج في الصحيحين من أحاديث جماعة من أصحابه رضي الله عنهم [٤] .

وفي أحدها قوله ﷺ :((فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك صلاة .. الحديث)) [٥] .

وأما زعمهم أنه جعل الجمعة يوم صلاة عامة على غرار السبت عند اليهود فهو أيضاً قول مخالف للصواب ، لأن الله سبحانه شرع لعباده المؤمنين الاجتماع لعبادته يوم الجمعة ، فقال تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا**

---

(١) أخرجه مسلم - كتاب الصيام - باب أي يوم يصام في عاشوراء .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم جـ١ ص٤١٥ ، فتح الباري جـ٤ ص٢٤٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم جـ١ ص٢١٠ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب الصلاة ، وصحيح مسلم - كتاب الإيمان .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه .

الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقد ثبت أن الله أمر الأمم السابقة بتعظيمه فضلوا عنه واختار اليهود السبت والنصارى الأحد وفضّل الله هذه الأمة بيوم الجمعة لفضيلته (٢) .

عن أبي هريرة وحذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ : ((أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق)) (٣) .

ففي الحديث ذم لأهل الكتابين على تفريطهم في يوم الجمعة ، ثم شرع ﷺ صيام يوم السبت ويوم الأحد مخالفة لهم كما جاء في حديث أم سلمة أنها قالت : " كان رسول الله ﷺ يصوم السبت ويوم الأحد أكثر مما يصوم من الأيام ويقول : أنهما عيد المشركين فأنا أحب أن أخالفهم " (٤) .

قال الحافظ ابن حجر : " يوم السبت عيد عند اليهود والأحد عيد عند النصارى وأيام العيد لا تصام فخالفهم بصيامها " (٥) .

---

(١) سورة الجمعة الآية : ٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير جـ٤ ص٣٦٥ .

(٣) أخرجع مسلم – كتاب الجمعة ، وأخرجه البخاري – كتاب الجمعة .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده جـ٦ ص٣٢٤ .

(٥) فتح الباري جـ١٠ ص٣٦٢ .

بعد هذا يتضح لنا أن وحي الله إلى رسوله ﷺ لم يكن مأخوذاً من اليهودية أو النصرانية، وإنما هو وحي مستقل لم يتأثر بغيره ، وبالتالي دين الإسلام دين قائم بذاته متميز عن غيره ، وإذا وجد تشابه بين نسك إسلامي وبين عمل سابق منسوب إلى دين اليهود أو النصارى دل ذلك على أن أصل الدين الذي جاء به رسل الله واحد [١] .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [٢].

وقال ﷺ : ((أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)) [٣] .

أي أصل إيمانهم واحد ، لأنهم متفقون في أصول التوحيد ، وأما فروع الشريعة فوقع فيها اختلاف [٤] .

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية العلاقة بين شريعة الإسلام والشرائع السابقة مقسماً ذلك إلى ثلاثة أقسام :

(أ) قسم مشروع في ديننا مع كونه كان مشرعاً لهم أو لايعلم أنه كان مشروعاً لهم لكنهم يفعلونه الآن .

(ب) وقسم كان مشروعاً ثم نسخه شرع القرآن .

(جـ) وقسم لم يكن مشروعاً بحال وإنما هم أحدثوه .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم – شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٢ ص٨٣٨، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية جـ١ ص١٦٥ ، الرسول في كتاب المستشرقين ص١٢٥ .

(٢) سورة الأنبياء الآية : ٩٢ .

(٣) أخرجه البخاري – كتاب الأنبياء .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم جـ١٥ ص١٢٠ ، فتح الباري جـ٦ ص٤٨٩ .

وهذه الأقسام الثلاثة إما أن تكون في العبادات المحضة ، وإما أن تكون في العادات المحضة وهي الآداب ، وإما أن تجمع العبادات والعادات [١] .

زعموا أن الوحي مقتبس من العقائد القديمة المختلفة :

لقد زعم المستشرقون أن محمدًا ﷺ لم يأت بجديد من الأفكار ولم يبشر بدين إلهي كما يقولون ، وإنما أخذ أفكاره من الأديان والعقائد والنظريات السائدة في عهده وطور في بعضها لتساير مجتمعه الذي يعيش فيه ، فالوحي الذي يزعمه هو عبارة عن لميم ومزيج من العقائد والعبادات الهندية والفارسية واليونانية والبابلية والوثنية والمجوسية وشرائع العرب في الجاهلية والأساطير الإبراهيمية والنزعات الصوفية وغير ذلك فلم يأت بما لم يسبق إليه [٢] .

رد هذه الأكاذيب :

إن الله سبحانه قد بعث محمدًا ﷺ على فترة من الرسل ، وذلك حين انحرفت الإنسانية عن طريق الرسل – عليهم السلام – وانغمست في لجج الضلال وانطمس نور الهداية فعاش الجميع في ظلال دامس إلا ما ندر ممن بقى من أهل الكتاب على عقيدة التوحيد . قال ﷺ:((إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلاّ بقايا من أهل الكتاب)) [٣] .

---

(١) ابن تيمية – اقتضاء الصراط المستقيم جـ١ ص٤٢٠ .

(٢) انظر تفاصيل ذلك في العقيدة والشريعة لجولدزيهر ص٤، ٥، ١٨، ١٩ وتاريخ الشعوب الإسلامية ص٤٨، ٧١، ٧٤، ٧٦، ٨٠ لبروكلمان .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الجنة وصفة نعيمها . قال النووي رحمه الله : = =

واختلفت عقيدة الإيمان بالله في نفوس البشر :

فالإله في التوراة له تصور خاص يتعلق ببني إسرائيل وأنبيائهم وليس له صفة العموم والشمول . وفي الإنجيل فكرة التثليث التي تنافي الوحدانية (١) .

والبيئة التي نشأ فيها الرسول ﷺ بيئة جاهلية اتخذت من الأصنام والأوثان آلهة تلجأ إليها في الشدة والرخاء لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكرًا، اختلط عندهم الحق بالباطل وذلك الضلال الذي وصفهم الله به في قوله ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ (٢).

وأما الهنود فلهم أديان كثيرة وعبادات مختلفة تجمع بين الوثنية الساذجة والآراء الفلسفية(٣)، وقد عبدوا عددًا من الآلهة فعبدوا الحيوانات وقوى الطبيعة وغير ذلك (٤) .

والمجوسية التي هي دين الفرس وغيرهم أثبتوا أصلين مدبرين ، أحدهما النور وهو إله الخير والنفع والصلاح، والآخر الظلمة وهي إله الشر والضر والفساد (٥)، وجعلوا للنار بيوتًا وعبدوها من دون الله (٦).

== المقت أشد من البغض ، والمراد بهذا المقت والنظر ما قبل بعثة رسول الله ﷺ ، والمراد ببقايا أهل الكتاب : الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل .

(١) الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ص٣٤، ٣٥ .

(٢) سورة الجمعة الآية : ٢ .

(٣) الشهرستاني – الملل والنحل جـ٢ ص٩ .

(٤) انظر أديان الهند الكبرى ص٣٢، ٣٣، ٢١٢ .

(٥) الملل والنحل جـ١ ص٢٣٢ .

(٦) المرجع السابق جـ٢ .

وعقائد اليونانيين والبابليين من الفلاسفة والصابئة الذين ينكرون النبوات [١] . فالصابئة يعبدون الكواكب والهياكل [٢] . والفلاسفة هم المقدسون للعقل القائلون بالوجود المطلق [٣] .

والصوفية التي انحرفت عن الصراط المستقيم وشابت عقائدها بالفلسفات الهندية والفارسية واليونانية .. وغير ذلك كعقيدة الحلول [٤]، والاتحاد [٥] ، والفناء [٦] .

وقد فند الشيخ محمد الغزالي هذه الشبهات بقوله : " فماذا كان مصير الحضارات في مصر واليونان وفي الهند والصين وفي فارس

---

(١) المرجع السابق جـ١ ص٣٨ .

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص٧ .

(٣) المرجع السابق جـ٢ ص٥٨، ٥٩ .

(٤) الحلول عقيدة باطلة من عقائد المتصوفة أخذت عن العقائد الهندية والنصرانية يزعمون فيها أن الله يحل في الأشخاص حتى يصبح الشخص رباً أو إلهاً يتصرف في الكون ويعلم الغيب ، ومن اقوالهم في ذلك : " أنا الحق " " وما في الجبة إلا الله " . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا [انظر الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص٦٥] .

(٥) الاتحاد أو وحدة الوجود: هي عقيدة الحادية باطلة من عقائد المتصوفة يزعمون فيها : أن كل شئ في الوجود هو الله وأن الله هو الذي في الكون وحده ولا شئ معه وما هذه الظواهر من المخلوقات إلا مظاهر لحقيقة واحدة هي حقيقته . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا [الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص٦٩] .

(٦) الفناء : عقيدة الحادية باطلة من عقائد المتصوفة يزعمون فيها أن العبد يفنى في الله ، بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه لا به ولا بغيره .

قال ابن القيم رحمه الله : " زعم أهل الاتحاد – القائلون بوحدة الوجود – أن الفناء هو غاية الفناء عن وجود السوي، فلا يثبت للسوي وجود البتة لا في الشهود ولا في العيان ، بل يتحقق بشهود .

وروما ؟ لا أقصد مصيرها من ناحية السياسة والحكم ، بل من ناحية العاطفة والعقل ، إن الوثنية الوضعية اغتالتها وفرضت عليها السقوط في هذه الوهدة الزرية فأمسى الإنسان الذي استخلفه الله ليكون ملكًا في السماوات والأرض أمسى عبدًا مسخرًا لأدنى شئ في السموات والأرض ، وماذا بعد أن تقدس العجول والأبقار ويعبد الأخشاب والأحجار وتطبق شعوب بأسرها على الخرافة (١) .

فيستحيل على هذه النحل الفاسدة والعقائد المنحرفة أن تكون مصدرًا لعقيدة التوحيد الصافية الخالية من كل شائبة شرك ، ولذلك الدين القويم والهدي المستقيم الذي جاء به رسول الله ﷺ فأحيا به قلوبًا غلفاً وأبصارًا عميًا وآذاناً صماً وانتشل به البشرية وهذه الظلام وضلال العقول إلى بر الأمان وسلامة المعتقد .

وهذه النحل تحوي بين طياتها لميماً من العقائد والعادات المختلفة المتباينة . فكيف استقى ﷺ منها جميعًا ثم خرج بهذا الدين الذي لا تباين فيه ولا اختلاف ؟

وهل لبشر مهما أوتي من النبوغ وحصافة العقل أن يجمع بين ملل تفرقت بها الأهواء وانحرفت بها السبل وتشعبت الطرق واختلفت مصادرها ومشاربها هذه الاختلافات البينة التي غصت بها كتب النحل والملل والأديان .

لقد كان ﷺ أميًا لا يقرأ ولا يكتب في بيئة أمية جاهلية تقبع في

---

(١) الشيخ محمد الغزالي – عقيدة المسلم ص٤٩ .

جزيرة العرب ليس لها معرفة واطلاع على عقائد وأديان الشعوب الأخرى إلاّ ما قال وندر ولم يخرج صلوات الله وسلامه عليه من جزيرة العرب قط ولم يختلط مع تلك الشعوب ويتعرف على عقائدها وثقافاتها ليكون منها فكرة دينية ثم يزعم أنه أرسل لتبليغها للناس ، وقد اسلم كثير من أصحاب تلك النحل وحملوا هذا الدين وأصبحوا من أبنائه . فلماذا لم يكتشفوا عن هذه الحقيقة لأبناء نحلهم ؟ ولماذا رضوا بالبقاء واستمرارية الإنتماء له وهو دين منحول من أديانهم وغيرها ؟

وأين هو الدليل الذي يثبت مزاعم المستشرقين على إفكهم هذا ؟ وما هي العقيدة التي كانت عند غيرهم ؟

ومن الواضح أن هذه الأمم كانت غارقة في الوثنيات والعقائد الفاسدة حتى قام المسلمون بنشر العقيدة الإسلامية وتصدُّوا للمعوقين والذين حاربوهم لأجل عقيدتهم وجاهدوا لنشر هذه العقيدة ، فدكوا عرش الفرس واقتلعوا دولتهم من جذورها وأخرجوا الروم من الجزيرة العربية وظل الإسلام يواصل سيره شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ويغزو تلك النحل والملل في عقر دارها ويخضع أصحابها إلى الانتماء إليه وترك أديانهم وعقائدهم ، فلو كان ملفقاً من تلك العقائد لماذا لم يجابه أربابها الفاتحين بتلك الحجة – وما أسهلها – بدلاً من حمل السيف ومواجهة التقتيل والتشريد والسبي ؟

ثم لماذا يحارب المسلمون أصحاب نحل يعلمون أن نبيهم ﷺ قد استقى دينه منها ؟ ولماذا لم يكرموهم ويقدروهم ، ويحلوا عقائدهم بدلاً من سفك الدماء وسبي النساء وفرض الجزية ؟

كل هذا وغيره يبين فساد ادعاء المستشرقين وبطلان قولهم وتهافت عقولهم وانكشاف دسائسهم وأحقادهم . وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** ﴾ (١) .

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ١٨ .

أهم المراجع

١- القرآن الكريم .

٢- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره- د. عمر إبراهيم ط. دار طيبة .

٣- الاقتصاد في الاعتقاد - أبو حامد الغزلي .

٤- الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق - د. أحمد بن حجر البوطي .

٥- أصول الدين الإسلامي - د. رشدي عليان - طبعة ١٩٨٢م .

٦- الإسلام والمستشرقون - أنور الجندي .

٧- آراء أهل المدينة الفاضلة - الفارابي .

٨- البداية والنهاية لابن كثير - عماد الدين أبو الفدا - ط. السعادة.

٩- التعريفات للجرجاني .

١٠- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري - طبعة ١٩٦٦م .

١١- تحفة الأريب في الرد على الصليب - عبد الله الترجمان .

١٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير .

١٣- تاريخ الفلسفة العربية - جميل صليبا .

١٤- تاريخ العرب - فليب حتى .

١٥- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان - ترجمة د. عبد الحليم النجار.

١٦- تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان - ط. دار المعارف .

١٧- الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد القرطبي - ط. الشعب

١٨- دلائل النبوة المحمدية – محمود مهدي – ط. الكويت .
١٩- دروس في علم التوحيد النبوات والسمعيات – د. شوقي إبراهيم عبد الله – دار الطباعة المحمدية .
٢٠- رسالة التوحيد – محمد عبده – دار المنار – مصر .
٢١- زاد المعاد في هدي خير العباد – ابن قيم الجوزية .
٢٢- إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري للقسطلاني – ط. بولاق ١٣٢٣هـ .
٢٣- الرسول ﷺ في كتاب المستشرقين د. نذير حمدان .
٢٤- سنن الترمذي .
٢٥- سيرة ابن هشام .
٢٦- السنة في مواجهة الأباطيل – محمد طاهر .
٢٧- شرح جوهر التوحيد – الشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني – ط. السعادة .
٢٨- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز .
٢٩- شرح النووي على صحيح مسلم .
٣٠- الظاهرة القرآنية – مالك بن بني – دار الفكر .
٣١- العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة – د. محمد أبو الغيط الفرت – ط. الرياض .
٣٢- العقيدة والشريعة – جولدزيهر – ط. مصر .
٣٣- الفوز الأصغر – أحمد محمد مسكويه .
٣٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري – دار المعرفة .
٣٥- العهد القديم .

٣٦- القصور العوالي من الرسالة اللدنية - أبو حامد الغزالي .
٣٧- اقتضاء الصراط المستقيم - ابن تيمية جـ١ .
٣٨- الكتاب المقدس - نشر جمعيات الكتاب المقدس .
٣٩- لسان العرب - جمال الدين بن منظور المصري - دار صادر - بيروت .
٤٠- مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي - د. عبد الرحمن بن زيد - الرياض .
٤١- المستشرقون - نجيب العفيفي .
٤٢- المصحف المفسر - محمد فريد وجدي .
٤٣- مناهج المستشرقين - مجموعة من الأساتذة .
٤٤- الموافقات - للشاطبي .
٤٥- مجموعة حقائق كتابية - برسوم ميخائيل .
٤٦- المستشرقون والإسلام - د. عرفان عبد الحميد .
٤٧- المسيحية في الإسلام - إبراهيم لوقا .
٤٨- مبادئ الفلسفة - رابوبرت .
٤٩- الملل والنحل للشهرستاني - أبو الفتح عبد الكريم الشهرستاني تحقيق/ عبد العزيز الوكيل .
٥٠- معجم البلدان - ياقوت الحموي .
٥١- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية - التهامي نقرة .
٥٢- الموسوعة الميسرة المنظمة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض.
٥٣- مناهل العرفان - الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني - ط. الحلبي

٥٤- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها - عرفان عبد الحميد .

٥٥- نهاية الاقدام في علم الكلام - عبد الكريم الشهرستاني .

٥٦- نبوة محمد ﷺ في القرآن - د. حسن عتر .

٥٧- النبوات - شيخ الإسلام ابن تيمية .

٥٨- النبي محمد - د. عبد الكريم الخطيب .

٥٩- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة - د. عبد الحميد الكردي - ط. المؤيد - الرياض .

٦٠- الوحي المحمدي - محمد رشيد رضا - ط. القاهرة .

٦١- الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام - أحمد عبد الوهاب .